الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ
رقم: .....

أهل الذمة في المجتمع العباسي من خلال كتب الحسبة
132ه- 656ه

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمـي
تخصص: تاريخ القرون الوسطى

إعداد الطالبتين
- بلمزيتي أحلام
- جدي نجوى

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
د/ العيساوي محمد	دكتور	رئيساً
د/ بن مجذوب جمال الدين	دكتور	مشرفا
د/ البوص جمال	دكتور	ممتحناً

السنة الجامعية: 2018/2017.

شكر و عرفان

نحمد الله ونشكره على ما رزقنا من نعم وعلى توفيقه لنا لإتمام هذا العمل المتواضع ،وإذ كان لابد من الإتراف لذوي الفضل بفضلهم فإنا نعرب عن شكرنا وتقديرنا للأستاذ المشرف بن مجذوب جمال الدين الذي تابع هذا العمل و أفادنا بتوجيهات ونصائح علمية ،ساعدتنا في إنجاز هذا البحث.

كما لا يسعنا إلا أن نتوجه بأسمى أيات الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا وقدم لنا الإضافة في إنجاز هذا البحث سواء من قريب أو بعيد والى كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة المسيلة وذلك بتوجيهاتهم وحرصهم ولهم منا جزيل العرفان وكامل الشكر والتقدير.

والشكر موصول إلى syber الملتقى

إهداء

إلى من أرضعتني الحب والحنان...

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء...

إلى القلب الناصع بالبياض...أمي العزيزة

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب...

إلى من كلت لأنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير...أبي العزيز

وإلى إخواني الأعزاء حمزة، عادل، عبد الغاني وحسان وجميع أفراد أسرتي

وجميع الأصدقاء خاصة حياة، نصيرة، سمير، صباح وحفصة وزميلتي في المذكرة نجوى

وإليك يا من تقرأ هذه السطور

أحلام

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أسرتي الكريمة...

الى من كلله الله بالهيبة والوقار...

وعلمني العطاء بدون انتظار...

وأحمل اسمه بكل افتخار...أبي الغالي

الى ملاك حياتي...

منبع الحب والحنان...

وسر الحياة وبيت أسراري...أمي الحبيبة

الى من تذوقت معهم أجمل اللحظات..أخي العزيز ياسين الذي ساهم بدور كبير وصولي الى هذه المرحلة، أدعو من الله أن يوفقه ويسدد خطاه الى يونس وفاروق المشاغبين،

الى بلسم روحي ورفيقة دربي أختي سمية، إلى الكتكوتة الحبيبة هدية الله تسنيم، وعمتي العزيزة،

الى جميع صديقاتي نسرين، نورية، حفصة، ابتسام، أمال وعائشة والى زميلتي في المذكرة أحلام

نجوى

مقدمة

لقد مرت الدولة الإسلامية بعدة عصور عرفت خلالها فترات ازدهار وضعف على المستويين الداخلي والخارجي، حيث تناولنا خلال دراستنا لهذا الموضوع إلى أن العصر العباسي كان من أزهى فترات الحكم الإسلامي والذي كان يعتبر عصرها الذهبي، وهذا راجع للفترة الزمنية الطويلة التي تزيد عن خمس قرون حيث تداول على عرشها حكام كثيرون، لكلّ منهم أسلوبه الخاص في إدارة حكمه وشؤون رعيّته، وقد تزامن ذلك مع تميّز المجتمع العباسي آنذاك بالتنوّع حيث كان يحتوي على مزيج من الثقافات والأجناس والديانات من عرب وفرس وأتراك وأهل الذمة الذين كانوا خاضعين لنظم مفروضة عليهم داخل المجتمع حيث كانت تشكل هذه الفئة الأخيرة عنصرا هاما في المجتمع العباسي إذ تفرض عليهم قوانين خاصة بهم.

فانطلاقا من ذلك، ارتسم في أذهاننا تصور عام لموضوع دراستنا الذي يعالج أوضاع أهل الذمة في المجتمع العباسي من خلال كتب الحسبة.

قمنا خلال كتابتنا لهذا البحث بإبراز أهمية فئة أهل الذمة التي كانت تعتبر جزءا هاما من المجتمع العباسي. ونظرا للاختلاف الذي تميزت به هاته الأخيرة على سائر فئات المجتمع وانفرادها بقوانين خاصة بها وفق أحكام شرعية رغبنا في تسليط الضوء على أوضاع حياتهم داخل المجتمع العباسي تحت نظام الحسبة، وبالنظر لأهمية هذا النظام كونه نابع من تعاليم إسلامية سمحة وممارسة الرسول صلى الله عليه وسلم له فهذا دال على أن هذا النظام له مساهمة كبيرة في تسيير شؤون الحياة المختلفة، كما أن سبب اختيارنا لهذا الموضوع هو رغبتنا في التعرف على الأوضاع التي كانوا يعيشها أهل الذمة داخل المجتمع العباسي من حيث تأثرهم ومساهمتهم فيه ورغبتنا في إزالة الغموض عن هذا الموضوع.

والإشكالية التي تبلورت إلى أذهاننا هي: كيف كانت أوضاع أهل الذمة في المجتمع العباسي من خلال كتب الحسبة؟ وما هي أوضاعهم في المجتمع الإسلامي؟ وما هو موقف الإسلام منهم؟ وما هي طبيعة العلاقة بينهم وبين المحتسبين؟ وهل كانت لهم مكانة خاصة في المجتمع العباسي؟

وللإجابة عن الإشكاليات السابقة اتبعنا المنهج التاريخي بآلياته المتعددة من وصف وتحليل فبالنسبة للوصف استعنا به أكثر في الفصل الثاني في الجانب الاجتماعي وذلك من خلال وصف لباس أهل الذمة وطريقة احتفالهم بالأعياد، أما بالنسبة للتحليل وظفناه أكثر في الفصل الأول فعلى سبيل المثال بينا نظرة الإسلام لأهل الذمة ووضحنا أصنافهم، وكذا في الفصل الثاني قمنا بتوضيح حكم الحسبة ومشروعيتها ونشأتها وتطورها، إذ ارتأينا انم هذا المنهج هو الأنسب في معالجة وتقصي موضوع أوضاع أهل الذمة في المجتمع العباسي من خلال كتب الحسبة.

أما بالنسبة للدراسات السابقة نجد:

- دراسة لطبي سمير بعنوان "دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي من 132ه-447ه حيث استفدنا منها في دراستها للمجال الاقتصادي لأهل الذمة خاصة في صناعة النسيج، وكذلك في مجال العلوم الفكرة والثقافية وقد استعنا بها في استخدام المصادر التي اعتمدت فيها، حيث ركز صاحب المذكرة على فترة العصر العباسي الأول الذي من خلاله بنينا أساسيات بحثنا.

- دراسة عبد العزيز ابن مرشد بعنوان" نظام الحسبة في الإسلام" حيث توجهنا من خلالها إلى كتب الحسبة حيث استرشدنا بها لجمع المادة العلمية واستفدنا منها أيضا في نشأة وتطور الحسبة في عهد الخلفاء الراشدين.

يحتوي موضوعنا على مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

ففي الفصل الأول والذي اخترنا له عنوان أهل الذمة في المجتمع الإسلامي قبل العصر العباسي والذي تضمن ستة عناصر.تناولنا في العنصر الأول التعريف بأهل الذمة والثاني اهتم بأصنافهم أما الثالث فقد تطرقنا فيه إلى نظرة الإسلام لهم والرابع ركزنا فيه على مكانتهم في حين نجد الخامس قد بيّنا فيه حقوقهم وواجباتهم اتجاه الدولة الإسلامية أما بالنسبة للعنصر السادس والأخير اهتم بأوضاعهم في المجتمع الإسلامي قبل العصر العباسي.

أما الفصل الثاني بعنوان علاقة المحتسب بأهل الذمة في المجتمع الإسلامي حيث اندرجت تحته ستة عناصر، الأول اختص بتعريف الحسبة، والثاني بحكمها ودليل مشروعيتها، والثالث تناول نشأتها وتطورها أما الرابع فدرس آداب المحتسب وشروطه وفي الخامس مهام المحتسب وأشهر المحتسبين في حين يتناول العنصر السادس والأخير اهتم بدور المحتسب في مراقبة ورعاية أهل الذمة.

أما بالنسبة للفصل الثالث المعنون بأوضاع أهل الذمة في المجتمع العباسي حيث اندرجت تحته خمسة عناصر فالأول اهتم بالأوضاع الاجتماعية والثاني بالأوضاع الاقتصادية أما الثالث درس الأوضاع السياسية بينما اختص الرابع بالأوضاع الدينية وفي العنصر الأخير تطرقنا فيه إلى الأوضاع الفكرية والثقافية.

وقد استعنا خلال إعدادنا لبحثنا هذا بمجموعة من المصادر والمراجع نذكر أهمها:

كتب التاريخ:

-كتاب أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية والذي أفادنا في لباس أهل الذمة أوضاعهم في مختلف عهود الخلفاء العباسيين؛
-كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي الذي ساعدنا في تعريف الحسبة وحكمه وآداب المحتسب وغيرها؛
-كتاب الملل والنحل للشهرستاني حيث استعنا به في التعريف بأصناف أهل الذمة.
-كتاب الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية لابن تيمية والذي أفادنا في معرفة نشأة وتطور الحسبة؛

كتب الحسبة:

- كتاب الحسبة في الإسلام "لابن تيمية" حيث استفدنا منه في تطور ونشأة الحسبة وتعرفنا من خلاله على آداب المحتسب وشروطه وكذا مهام وأشهر المحتسبين.
- كتاب الحسبة المذهبية في بلاد المغرب نشأتها وتطورها " لموسى لقبال" الذي أفادنا في معرفة نشأة الحسبة.

كتب الطبقات:

- كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء "لابن أبي أصيبعة" الذي من خلاله تعرفنا على أهم من امتهن الطب في العصر العباسي والترجمة،

كتب الوفيات:

- كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 'ابن خلي كان " الذي أفادنا في معرفة أهم الأدباء الذميين اللذين واكبوا العصر العباسي.

كتب الأحاديث:

- سنن الترمذي للترمذي حيث كان مرجعنا للأحاديث النبوية الشريفة التي تدل عن حقوق أهل الذمة.
- الجامع المسند الصحيح المختصر للبخاري " استدللنا به لتعرف عن واجبات أهل الذمة وكذلك في تعريف الحسبة.

وكأي باحث لقد واجهتنا العديد من الصعوبات نذكر منها:

صعوبة دراسة فترة زمنية طويلة كفترة العصر العباسي والتي كانت قرابة خمس قرون قلة المادة المصدرية العلمية المتخصصة في جميع مراحل الحقبة العباسية.

وفي الأخير نرجو من الله العلي القدير أن يكون هذا البحث بمثابة مرجع للباحث في مجال دراسة أهل الذمة أوضاعهم في المجتمع العباسي من خلال كتب الحسبة ورغم ما شابه من نقصان إلا أننا نأمل أن نكون في المستوى المطلوب وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه أنبنا.

خطة البحث

المقدمة
الفصل الأول: أهل الذمة في المجتمع الإسلامي قبل العصر العباسي
أولاً: التعريف بأهل الذمة
ثانياً: أصناف أهل الذمة
ثالثاً: نظرة الإسلام لأهل الذمة
رابعاً:مكانة أهل الذمة في العصر العباسي
خامساً:حقوق وواجبات أهل الذمة اتجاه الدولة الإسلامية
سادساً: أوضاع أهل الذمة في المجتمع الإسلامي قبل العصر العباسي.
الفصل الثاني:علاقة المحتسب بأهل الذمة في المجتمع الإسلامي.
أولاً: تعريف الحسبة.
ثانياً:حكم الحسبة ودليل مشروعيتها في الإسلام .
ثالثاً: نشأة الحسبة وتطورها.
رابعاً:آداب المحتسب وشروطه.
خامساً:مهام المحتسب وأشهر المحتسبين.
سادساً: دور المحتسب في مراقبة و رعاية أهل الذمة.
الفصل الثالث : أوضاع أهل الذمة في المجتمع العباسي.
أولاً: الأوضاع الاجتماعية.
ثانياً: الأوضاع الاقتصادية.
ثالثاً:الأوضاع السياسية.
رابعاً: الأوضاع الدينية.
خامساً: الأوضاع الفكرية والثقافية.
- **الخاتمة**

الفصل الأول

أهل الذمة في المجتمع الإسلامي قبل العصر العباسي

أولاً: التعريف بأهل الذمة

ثانيا: أصناف أهل الذمة

ثالثاً: نظرة الإسلام لأهل الذمة

رابعا: مكانة أهل الذمة في العصر العباسي

خامسا: حقوق وواجبات أهل الذمة اتجاه الإسلامية

سادسا: أوضاع أهل الذمة في المجتمع الإسلامي قبل العصر العباسي

أولاً: التعريف بأهل الذمة

لا يمكن للمجتمع الإنساني أن يستقيم إلا إذا كان لكل مجموعة بشرية نظام حكم يسوسهم ويسير شؤونهم، وبهذا تتشكل القوانين التي تحكم أفرادها، ومنها، فإنّ بقاءها متوقف على التعاون بين أفرادها.

ولذلك، فكما أنّ لكل مجتمع إنساني مبادئه التي تحكمه، فكذلكم بالنسبة للمجتمع الإسلامي له مبادئه التي تحكمه والقوانين والقيم التي تضبط سلوكات أفراده، حيث تشمل المسلم وغير المسلم، وهم رعايا الدولة الإسلامية الذين يدخلون تحت مسمّى أهل الذمة، وهم على ديانات وأجناس مختلفة، ويمتثلون لتعاليم دياناتهم والقوانين الداخلية لمجتمعاتهم، وتخضع الدولة الإسلامية لأحكام الشريعة الإسلامية الخاصة بأهل الذمة في إطار احترام ديانتهم وضبط التعامل معهم حتى تصان حقوقهم وعلى المجتمع الاسلامي أن يوفر لهم كل ما يحتاجونه من رعاية وحفظ وأمان، وفي مقابل ذلك يجب على أهل الذمة احترام القوانين التي تنظم علاقاتهم مع المسلمين واحترام مشاعرهم.

I. لغة

الذمة لغة: العهد والأمان، والذمامة: بالكسر، الحق والحرمة، ورجل ذمي معناه: رجل له عهد[1]، وفي الحديث النبوي الشريف يقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**يسعى بذمتهم أدناهم**)).[2] وتفسيره الأمان وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ** ١٠ ﴾.[3]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، د.ط، دار المعارف، بيروت، د.ت، ج12، ص221.

[2]- محمد بن اسماعيل البخاري، جامع المسند الصحيح، الجزية والموادعة، الفصل11، د.ط دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج2، ص401.

[3]- الآية 10، سورة التوبة.

II. شرعا

أهل الذمة: وهم أهل الكتاب[1]، فالمسلمون يعطوهم عهدا وعقد الذمة يجوز مع أهل الكتاب سواء كانوا من العرب أو العجم.

والذمة عقد يصبح غير المسلم بمقتضاه في عهد المسلمين وأنماطهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة، والجزية لا تؤخذ على النسب وإنما هي على الدين، على عكس مشركي العرب فلا يحصل معهم ذلك لأنهم أهل تقليد وعندهم عادة تقليد الآباء إذ يعتبرون ما دون ذلك سخرية فلا يشتغلون بالتأمل والنظر في محاسن الشريعة ليقفوا عليها، فوجبت دعوتهم إلى الإسلام ووضعهم أمام خيارين الإسلام أم السيف[2] لقوله تعالى: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾.[3]

ووجه الفرق بين مشركي العرب وغيرهم من أهل الكتاب أن أهل الكتاب إنما تركوا للذمة وقبول الجزية لا لرغبة فيما يؤخذ منهم أو طمع في ذلك، بل للدعوة إلى الإسلام ليخاطر المسلمين فيتأملوا في محاسن الإسلام وشرائعه فيرغبون فيه فكان عقد الذمة لرجاء الإسلام.[4]

---

[1]- أهل الكتاب: هم الخارجون عن الملة الحنيفة والشريعة الإسلامية مما يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام. (أنظر:أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 247).

[2]- مسعود الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406ه، 1986م، ج7، ص ص 110،111.

[3] - الآية: 05، سورة التوبة،

[4]- الشربيني، مغنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المناهج، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1418-1997م، ص321.

ثانيا: أصناف أهل الذمة

اشتملت أهل الذمة على اليهود والنصارى والصابئة والمجوس والسامرة [1]وقد عاشوا في ذمة المسلمين بموجب عهود كانت ترعى مصالحهم مقابل جزية يؤدونها عن رؤوسهم.

I. اليهود:

جاءت تسميتهم من كلمة هادا تاب ورجع[2]، وقال ابن منظور: هود: الهود، التوبة، هاد، يهود، هودا، وتهود، تاب ورجع إلى طريق الحق فهو هائد[3]، وقد ورد في قوله تعالى:" إن هدنا إليك"[4]، وهم أتباع سيدنا موسى عليه السلام، وكتابهم له أسفار عديدة منها: مبتدأ الخلق، الأحكام والحدود، الأحوال والقصص وغيرها، واليهود تدعي أن الشريعة لا تكون إلا واحدة تبدأ بموسى عليه السلام وتنتهي به، والتوراة اشتملت بأكملها على دلالات وآيات تدل على نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.[5]

واليهود افترقوا على طوائف كثيرة، غير أنهم كالفرقة الواحدة، إذ توراتهم واحدة ولا خلاف في أصول اليهودية بينهم وقد اتفق الجميع على استخراج ستمائة وثلاث عشرة فريضة من التوراة يتبعون بها، ويتفقون على نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام، وإبراهيم وإسحاق ويعقوب: وهو إسرائيل والأسباط وهم بنوه الاثنا عشر ونجد من بين فرقهم الربانية والقرائين، تتفق هاتان الطائفتان في استقبال صخرة بيت المقدس في صلاتهم ويوجهون لها موتاهم حيث أن الله كلم موسى على طور سيناء غير أنها تختلفان في بعض الأمور، فالقراؤون يقفون مع ظواهر نصوص التوراة، ويحملون ما وقع فهمها منسوب إلى الله من ذكر الصورة والتكلم، والاستلاء على العرش أما الربانيون يذهبون إلى تأويل ما وقع في التوراة من ذلك كله والقول بالقدر.[6]

ونجد كذلك فرقة أخرى منها:

- **العنانية:** وهم أتباع عنان بن داود ولا يذكرون عيسى بسوء بل يقولون أنه كان من أولياء الله تعالى وإن لم يكن نبيا وكان قد جاء لفقر شرع موسى عليه السلام والإنجيل ليس بكتاب له سبل الإنجيل كتاب جمعه بعض تلاميذ.
- **العيسوية:** أتباع أبي عيسى بن يعقوب الأصفهاني وهم يثبتون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويقولون هو رسول الله في العرب لا إلى العجم ولا إلى بني إسرائيل.

---

[1]- السامرة: هم قوم يسكنون جبال بيت المقدس وقرابا من عمائر مصر وهم لا يعرفون حرمة لبية المقدس، حيث يؤمنون بنبوة موسى وهارون يوشع بن نون عبلبهم السلام وانكروا نبوة من بعدهم من الأنبياء حيث ينفردون بقبلة خاصة بهم.(أنظر الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص 260-261).

[2]- نفسه، ج1، ص 210.

[3]- ابن منظور، المصدر نفسه، ج3، ص439.

[4]- الآية 156، سورة الأعراف.

[5]- الشهرستاني، نفسه، ج1، ص250-251-253.

[6]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص252.

- **المحادية:** وهم أتباع رجل من همذان وهم في اليهود كالباطنية في المسلمين.[1]
- **السامرية:** وهم أتباع السامري الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله في سورة طه "**وأضلهم السامري**" حيث كان أصله من قوم يعبدون البقر[2] وهم لا يؤمنون بنبي غير موسى وهارون ولا بكتاب غير التوراة وما عداهم من اليهود يؤمنون بالتوراة وغيرها من كتب الله تعالى وهي خمس وعشرون كتاب ككتاب أشعيا وأرميا وحزقيل[3].

وتعتبر هاته الأربع الفرق من أعظم فرق اليهود التي تجتمع على رأي واحد في النبوة.

II.النصارى

اختلف في اشتقاقها حيث ذكرت في القرآن الكريم وذلك من خلال قوله تعالى:﴿**فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ٥٢** ﴾[4] وقيل من نزوله هو وأمه بعد عودتها من مصر- بالناصرة - وهي: قرية من بلاد فلسطين من الشام، والنصارى هم أمة المسيح ابن مريم عليها السلام والمسيح هو المبعوث بعد موسى عليه السلام المبشر به[5] مصدقا في التوراة لقوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ**﴾[6] حيث تميز عيسى عليه السلام بالعديد من الآيات الظاهرة، مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمه[7]، حيث صعد إلى السماء فاختلف الحواريون وغيرهم فيه من حيث كيفية نزوله واتصاله بأمه إضافة إلى كيفية صعوده واتصاله بالملائكة.[8]

وقد افترقت النصارى إلى اثنين وسبعين فرقة نذكر أبرزهم:

اليعقوبية: ينسبون إلى يعقوب البرذعاني،[9] وترى أن المسيح هو الرب وأن الرب هو الإنسان اتحد في طبيعة واحدة هي المسيح، إن روح البارئ اختلطت ببدن عيسى عليه السلام، ...وقيل انقلبت الكلمة ودما فصار الإله هو المسيح والظاهر بجسده هو، حيث يشبهون هذا الاختلاط الماء باللبن.[10]

وقد أخبرنا عنهم القرآن الكريم وذلك من خلال قوله وتعالى:﴿ **لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ** ﴾.[11]

---

[1]- فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ط، 1356ه، 1938م، ص 82- 83.

[2]- الشهرستاني، نفسه، ج1، ص269.

[3]- فخر الدين الرازي، المصدر السابق، ص83.

[4]- الآية: 52، سورة آل عمران.

[5]- الشهر ستاني، المصدر السابق، ج1، ص262.

[6]- الآية 171، سورة النساء.

[7]- الأكمه: محركه العمى يولد به الإنسان او عام كمه كفرح عمى وصار أعشى وبصره اعترته ظلمة تطمس عليه، ينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1400ه-1980م، ط3، ج4، ص 286.

[8]- الشهرستاني، المصدر السابق ج1، ص263.

[9] - نفسه، ج1، ص 270.

[10]- فخر الدين الرازي، المصدر السابق، ص84.

[11]- الآية 72، سورة المائدة.

وأكثر اليعاقبة في مصر والحبشة والأرمن واشتغل كثير منهم في ظل الدولة العباسية بنقل الفلسفة اليونانية وكتبها إلى السريانية.[1]

- **الملكانية:** يرى أصحابها من إن اتحاد الله تعالى بعيسى عليه السلام كان حالة صلبة[2]، وقولهم إن الرب عبارة من ثلاثة أشياء، أب، ابن، روح القدس كلهم ترى أن عيسى عليه السلام- إله تام وإنسان تام كله وليس أحدهما غير الآخر[3]، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معا شيء واحد[4]، وقد أخبرنا القرآن من قوله تعالى:﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ**﴾.[5]
- **النسطورية:** أصحاب نسطور الحكيم، حيث زامن فترة المأمون والتي خالفت الملكانية في اتحاد فلم يقولوا بامتزاج بل أن الكلمة أشرقت على جسد المسيح كإشراق الشمس في كوة على بلورة، والقتل وقع على المسيح من جهة ناسوتة لا من جهة لاهوته.[6]
- **الفرفريوسية:** وهم أتباع فرفوريوس الفيلسوف وقد أخرج أكثر من دين النصارى على قواعد الفلسفة.
- **الأرمنوية:** حيث يقولون إن الله تعالى دعا عيسى ابنا على سبيل التشريف.[7]

ويتضح لنا من خلال ما درس أن فرق النصارى عرفت اختلاف من حيث اعتقادهم في العلاقة بين المسيح والله تعالى.

III. الصابئة

1-تعريف:

في اللغة: صبأ في لغة العرب: خرج من دين إلى دين آخر كما تصبأ النجوم أي تخرج من مطالعها، والصابئون قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام وقبلتهم نحو مهيب الجنوب ويقال الرجل إذا أسلم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم قد صبا [8]ويقول الشهرستاني في هذا: صبأ الرجل إذ مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة.

كما قال عز وجل في سورة الأنعام ﴿**لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**﴾، واعلم أن عبادة الأصنام أحدث من هذا الدين لأنهم كانوا يعبدون النجوم عند ظهورها ولما أرادوا أن يعبدوها عند غروبها لم يكن لهم من أن يصور والكواكب صورا مثلا فصنعوا أصناما واشتغلوا بعبادتها فظهر من هنا عبادة الأوثان.[9]

---

[1]- بن حزم، الفصل في الملك والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت، ج1، ص111.
[2]- فخر الدين الرازي، المصدر السابق، ص84.
[3]- ابن حزم، المصدر السابق، ج1، ص111.
[4]- الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص268-270.
[5]- الآية، 73، سورة المائدة.
[6]- الشهرستاني، المصدر السابق،ج1، ص269-270.
[7]- فخر الدين الرازي، المصدر السابق، ص85.
[8]- ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص107.
[9]- فخر الدين الرازي، المرجع السابق، ص90.

وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم وذلك من خلال قوله عز وجل:﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ** ﴾.[1] هم لا يكذبون الأنبياء ولا يجيبون إتباعهم، وعندهم من اتبعهم فهو سعيد ناج، فالأنبياء أتوا بتربية النفوس وتهذيبها، وتطهير الأخلاق من الرذائل فمن أطاعهم فهو سعيد، ولا يوالون أهل ملة ويعادون أخرى، ولا يتبعون لملة على ملة ولذلك سمو صابئين، كأنهم صبؤوا عن التعبد بكل ملة من الملل والانتساب إليهم وهم نوعان صابئة حنفاء وصابئة مشركون، فالحنفاء هم الناجون منهم وهم قوم إبراهيم عليه السلام.[2]

ثالثاً: نظرة الإسلام لأهل الذمة

من خلال القرآن الكريم: لقد حذر الله تعالى المسلمين من أعدائهم ونهاهم عن وصلهم وأمرهم بمقاطعتهم، ومباعدتهم، لعلم الله تعالى بقبح سرائرهم وإضمارهم للمسلمين العداوة والبغضاء وفساد نياتهم، هذا كله لدفع مكائدهم، فنبذ كتاب الله عن تقريب أعداء الله تعالى، ومخالفة أمر الله تعالى بموالاة أعدائهم واستكتابهم ومشاورتهم في أمور المسلمين، واستعلائهم على المؤمنين،[3] وقد قال الله تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ** ﴾،[4] وقد أخبر الله تعالى أنه عدو لهذه الطائفة وذلك من خلال قوله:﴿ **فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ**٩٨﴾،[5] والكافرين كلهم يبغضون سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، فلا يتم لنا محبة الله ورسوله إلا ببعض الكفار، والظاهر في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر عليه علامات منها الاقتداء به واتباع سننه وأقواله وأفعاله وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه،[6] وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿**لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى**﴾،[7] وقد ثبتت عليهم الذلة وذلك من خلال قوله تعالى :﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ** ﴾،[8] وقد نص الله تعالى من اتخاذهم أولياء للمؤمنين لقوله﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ** ﴾،[9] وقوله أيضا:﴿ ۞**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ** ﴾،[10] وقد اقتضى على المؤمنين قتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية عن ذلك من خلال قوله تعالى:﴿ **قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ**

---

[1]- الآية 62، سورة البقرة.

[2]- ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تح، أبي براء يوسف بن أحمد البكري، أبي أحمد شاكر بن توفيق العاروي، رمادة للنشر، المملكة العربية السعودية، 1997 م، ج1، ص ص241-242.

[3]- أبو حسن علي، منهج الصواب في قبح أهل الكتاب، تحقيق: سيد كسروي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422- 2002، ص55.

[4]- الآية 13، سورة الممتحنة.

[5]- الآية 98، سورة البقرة.

[6]- أبو حسن علي، المصدر السابق، ص63.

[7]- الآية: 111، سورة آل عمران

[8]- الآية 112، سورة آل عمران.

[9]- الآية 144، سورة النساء.

[10]- الآية51، سورة المائدة.

وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ٢٩ ﴾،[1] وفي هذا يدل على أنهم لا يقاتلون عند تأديتهم للجزية.

وفي نظرة الإسلام لأهل الذمة من خلال الأحاديث النبوية : لقد فرض الله طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك من خلال قوله:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ** ﴾.[2]

وكما قال صلى الله عليه وسلم: ((**ولا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه**)).[3]

وقال بعض العلماء في معنى هذا لأن الكفار ليسوا أهل للإكرام بل للإذلال ،وهذا كله تحذير منهم وحذر على عدم الألفة بينهم فإن إنشاء السلام والبداءة تقتضي الألفة والمحبة.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيهم أيضا: لا تكرموهم إذا أهانهم الله، ولا تؤمنوهم إذا خذلهم الله، ولا تدنوهم إذا أقصاهم الله. وكتب عمر رضي الله عنه: ولا تكتبوا أهل الذمة فيجر فيها بينكم وبينهم المودة وتكفوهم وأذلوهم ولا تظلموهم.[4]

غير أن هذا لا يدل على أن أهل الذمة لا يمكنهم العيش في امصار المسلمين حيث ذكر أنهم يستطيعون العيش بشرط التقيد بأحكام الدولة الإسلامية كالجزية وغيرها ونظرية الإسلام لأهل الذمة في قتالهم هذا إن لم ينفذ الواجبات المنصوصة عليهم أما إن نفذوا واجباتهم فيتمتعوا بحقوق من أمن وحرية وغيرها.

وقد كانت هناك عدة مظاهر من التسامح الإسلامي مع أهل الذمة حيث ينظر الإسلام إلى الأديان الأخرى نظرة تسامح، فقد سمى اليهود والنصارى أهل الكتاب، وسماهم أهل الذمة، والإسلام يعترف بنبوة الأنبياء السابقين، ونصح الإسلام المسلمين إذ دخلوا في الجدال مع اليهود والنصارى بشأن الدين أن يجادلوهم بالحسنى، ويدعو الإسلام أن الإكراه في الدين، حيث يعترف الإسلام بما قبله من كتب سماوية[5] ومن مظاهر التسامح من أهل الذمة أيضا نجد أنهم قد تمتعوا بالحرية والتسامح والعدل مقابل أداء الجزية، وارتبطت بالفعل قضاياهم في الأمور المدنية والجنائية برؤسائهم الروحيين ما دامت القضية لا تمس المسلمين، لأهل الذمة بحمايتهم وتوفير العدل والسلام لهم، وأمنوهم على أنفسهم وأموالهم وبنظرة التسامح والعدل اتجاه أهل الذمة مكنت العديد منهم من اعتناق الدين الإسلامي.

---

[1]- الآية 29، سورة التوبة.

[2]- الآية 59، سورة النساء.

[3]- أبي حسن مسلم، المسلم الصحيح المختصر، الإيمان باب البيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، دار السلام، القاهرة، ج1، د ط، 1416هـ - 1996م، 14ص148.

[4]- أبي حسن علي، المرجع السابق، ص132-135-136.

[5]- علي حسن الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، القاهرة، د.ط، 1389-1969، ص95-96.

إن انتشار الدين الإسلامي راجع إلى كيفية تعامل المسلمين مع أهل الذمة بسبب عدم استعمال القوة وهذا هو سر قوته فالأديان الأخرى تخلو من هذا، وكل مسلم يستطيع أن يعرف أصول الإسلام في بعض كلمات سهلة، على عكس المسيحي الذي لا يستطيع الحديث على التثليث وغيره من معتقدات النصارى تناقضاتها إضافة إلى أن الإسلام يحوي مبادئ صافية ونقية وتعاليم سامية ومبادئ راسخة وأخلاق راقية.[1]

وقد نظر الإسلام لأهل الذمة على أنهم رعايا محترمين لهم حقوقهم وواجباتهم، وقرر أنه لا يحق للمسلم أن يحاسبهم باعتبارهم غير مسلمين، على معتقداتهم وإنما حسابهم لله تعالى في الآخرة[2]، وفي هذا يقول الله عز وجل :﴿ **وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ**﴾.[3]

ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى :﴿ **لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ** ﴾[4].

ونستنتج من خلال هذه الآية الكريمة أن الله تعالى قد أمر عباده بأن لا يرغموا أحدا في الدين وأن لا يسيطروا عليه فلكل معتقده لكن مع احترام المخالفين للإسلام للمسلمين وعدم أن يتهم وذلك من خلال عدم إظهار شعائرهم للعلن.

وهناك حقيقة المساواة بين البشر فعن جابر قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ مرّت بنا جنازة فقام لها فلما ذهبنا لنحمل إذ هي جنازة يهودي، فقلنا: يا رسول الله إنما هي جنازة يهودي فقال: ((**إن الموت فزع فإذا رأيتم جنازة فقوموا**)). [5]

ومن الأدلة التي تبين أن هناك حرية التدين لهؤلاء نجد في قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ** ﴾[6]. وهذا دال على أن الإسلام جعل لهم حرية في الدين وأعطاهم حق المساواة.

إضافة إلى قوله : ﴿**وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ**﴾.[7]

من خلال هذه الأدلة والأمثلة تبين لنا بأن نظرة الإسلام اتجاه أهل الذمة تسامح ونظرة مساواة وهذا كله بمقتضى ما هو مقرر وثابت في كتاب الله سبحانه وتعالى ويعد هذا وفاء الهم للعهد المتفق عليه، على أن يعيشوا في بلاد الإسلام آمنين.

رابعا: مكانة أهل الذمة في العصر العباسي

يعتبر الدين الإسلامي دين شاملا لكل الأديان حيث أن هذا الأخير أعطى لكل ذي حق حقه، وساوى بين أفراد المجتمع سواء مسلمين أو غير المسلمين إلا من جانب الدين

---

[1]- نفسه، ص ص 103-111.

[2]- إدوار غالى الذهبى، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط1، مكتبة غريب، د.م، 1993م، ص39.

[3]- الآية 68-69، سورة الحج.

[4]- الآية 256، سورة البقرة.

[5]- أبي داود، سنن أبي داود، تح شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قربولي، كتاب الجنائز، باب القيام بالجنازة، دار الرسالة العالمية، ج5، ص 84.

[6] - الآية 29، سورة الكهف.

[7]- الآية 46، سورة العنكبوت.

والعقيدة، كما سمح لهؤلاء بالمساهمة في بناء المجتمع وأصبح لهم مناصب ومهام في الدولة من بينها:

أ-المناصب الكبرى:

لقد حظي أهل الذمة في العصر العباسي بمناصب كبرى، حيث عرف العديد من المناصب مثل " بختيشوع بن جرجيس" طبيب الخليفة العباسي هارون الرشيد وتميز في أيامه بمكانة خاصة حيث وثق الخليفة فيه وأكرمه، ومنهم أيضاً "جبرائيل بن بختشوع"، حيث حظي هو الآخر بمكانة مرموقة لدرجة أنه صار مستشار من قبل الرعية، إضافة إلى أنه كان يوكله على نفسه وأمر أن كل من لديه حاجة له أن يخاطب جبرائيل ، فكان كبار القواد يقصدونه في كل أمورهم.[1]

أهل الذمة والوظائف الحكومية

لقد تمتع أهل الذمة في ظل الدولة الإسلامية، بحظ وافر من الوظائف والمهام في الحكومة، وهناك العديد من المؤيدين لهذا الطرح "ديمومين" حيث قال أن أهل الذمة احتلوا مراتب بارزة، وكان عددهم كبير جدا في الدواوين والمصالح، وهذا ما أكد عليه بأرنولد في وظائف اليهود، وأن عمر بن الخطاب أستاء لما عزل الكاتب اليومي.[2]

خامسا: حقوق وواجبات أهل الذمة اتجاه الإسلامية

لقد تمتع أهل الذمة بمجموع من الحقوق وكان من واجب الدولة الإسلامية توفيرها لهم غير أنه كان عليهم واجبات يجب أن يتقيدوا بها.

I. حقوق أهل الذمة

أ- الحق في حرية العقيدة: لقد صان الإسلام لغير المسلمين معابدهم ورعى حرمة شعائرهم خاصة في المناطق التي فتحت صلحا مثال عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل إيليا، سنة 16ه، حيث أعطاهم أمانا في أموالهم وكنائسهم وصلبانهم ولا يكرهون على دينهم،[3] وقد ورد ذلك في القرآن الكريم وذلك من خلال قوله تعالى:﴿ **لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ** ﴾.[4]

ب-البر والإحسان لهم عند الفقر والشيخوخة: من بين الحقوق التي أباحها الإسلام نجد البر بأهل الذمة والإحسان إليهم، وذلك من خلال قوله عزوجل:﴿ **لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ**

---

[1] - بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ت. ص ص 141-143.

[2]- علي حسن الخربوطي، المرجع السابق، ص ص131 – 145.

[3]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، د م، 1979، ج2، ص449.

[4] - الآية 256، سورة البقرة.

ٱلۡمُقۡسِطِينَ٨ ﴾.[1] وهذا يحقق الحكمة لأجلها شرع عقد أهل الذمة وهي الاطلاع على محاسن الإسلام ومن مظاهر البر بهم والرفق بضعيفهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم ويجوز صرف صدقاتهم والتطوع إليهم لأنهم من دار الإسلام[2]، حيث روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه مر بشياع من أهل الذمة يسأل أبواب الناس فقال:" ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شبابك ثم ضيعناك في كبرك" ثم أخرج عليه من بيت المال ما يصلحه".[3]

جـ الحق في الأمن و الحماية: بمجيئ الإسلام أعطى لأفراد مجتمعه ويكون إما مؤبد وهذا الأصحاب أهل الذمة بصفة دائمة، وإما مؤقت العربي حيث لا يجوز للذمي إعطاء هذا الأمان وإن كان يقاتل مع المسلمين حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم أجري الكثير من العقود مع غير المسلمين وتبعه الخلفاء الراشدين من بعده،[4] حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما روي أبي هريرة أن الرسول قال: ((**ألا من قتل نفسا معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أحضر (أي نقض) بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا**)).[5] ومن خلال هذا يتبين أنه لأهل الذمة الحق في الأمان وهو معصوم الدم والإسلام حذر من أن يظلموا أي معاهد.

د- الحق في العمل والتجارة والضمان الاجتماعي: إن الإسلام أعطى الحق لغيره المسلمين في العمل والتجارة وممارسة جميع ألوان النشاط الاقتصادي، سواء بالتعاقد مع الغير أو بالعمل على حساب أنفسهم، وكذلك مزاولة ما يختارونه من المهن الحرة، حيث نجد بعض الشواهد مثل: في عقد الذمة الذي كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق وكانوا من النصارى "جعلت لهم، أيما شيخ ضعف في العمل أو صابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت عليه جزئيته من بيت المال المسلمين هو وعياله" وقد كان هذا في عهد أبي بكر الصديق "رضي الله عنه"، وكان هذا بحضرة عدد كبير من الصحابة، وقد كتب خالد به إلى الصديق ولم ينكره عليه أحد وهذا يعد إجماعا،[6] ومن خلال هذا يتبين أنه من حق الذمي في الحرية في ممارسة أعماله من مهن وتجارة وغيرها، كما ضمن له الحق في الضمان وهذا كله من خلال ما تم ذكر سابقا.

II. واجبات أهل الذمة

---

[1] - الآية 08، سورة الممتحنة.

[2] - الكاساني، المصدر السابق، ج7، ص111.

[3] - ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص 144.

[4]- فهد محمد علي المسعود، حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية وحمايتها الجزائية وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، كلية الدراسات العليا، قسم العدالة الجنائية، رسالة ماجستير،نوقشت (2003) تخصص التشريع الإسلامي، الرياض، 1424ه-2003م، ص57.

[5]- صحيح الترمذي، كتاب الديات عن رسول الله ﷺ باب من قتل نفسا معاهدا، شرح إبن العربي المالكي، ط1، المطبعة المصرية بالأزهر، 1941ه، ج2، ص176.

[6]- إدوار غالى الدهبى، المرجع السابق، ص100-101.

مثلما حظي أهل الذمة بحقائق غير أنه ترتب عنهم عدة واجبات اتجاه الدولة الإسلامية:

أ- دفع الجزية: وهي ضريبة تضرب على رقاب أهل الذمة وتتمثل في مقدار زهيد من المال يدفع نقدا أو عينا ولا تجب على الرجال الأحرار وتسقط على المرأة والصبي والمجنون والمريض.[1]

كما لا تؤخذ من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من الأعمى ولا من الشيخ الكبير الذي لا يستطيع العمل، وكذلك المترهبون في أديرتهم.[2]

كما أن الجزية تأتي على أنه قبول الحكم الإسلام، فهي تعتبر أهم ركن من أركان عقد الذمة وهي ثابتة في القرآن وذلك من خلال قوله تعالى :﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ٢٩ ﴾.[3]

لقد اختلف الفقهاء في مقدار الجزية وأن ينظر إلى حال أهله أما أبو يوسف فقد صنفهم إلى ثلاثة أصناف:[4]

أغنياء: تؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهم.

أواسط: تؤخذ منهم أربعو وعشرون درهما.

فقراء: يؤخذ منهم اثنا عشر درهم.[5]

تؤخذ كل سنة مرة واحدة بعد انقضائها بالشهور الهلالية وقدر في دفعها اليسر والتقسيط والقدرة.[6]

ومما سبق قوله نستخلص بأن الجزية ذات صبغة سياسية أكثر منها مالية نظرا لقلة مقدارها، الكثيرين منها، فكانت في الحقيقة برمز دفعها من أهل الذمة إلى إخلاصهم للدولة الإسلامية وخضوعهم لأحكامها والوفاء بما عاهد عليه.

وكانت الجزية تجمع بالتنسيق مع رؤساء طوائف أهل الذمة حيث كان الموالي جامع الجزية، في كل سنة يلزم رئيس اليهود وقسيس النصارى ورئيس السامرة بكتلة أوراق يسمونها الرقاع يحدد فيها أسماء أهل الذمة كل من اهتدى بالإسلام أو هلك بالموت أو خرج على جهة أخرى وترك عملا وما حدث من نوائب.[7]

يمنعون من الإقامة بالحجاز: يمنع أهل الذمة أن يتخذوا أرض الحجاز مسكنا لهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أخرجوا المشركين من جزيرة العرب".[8]

---

[1]- الكاساني، المصدر السابق، ج7، ص111.
[2]- القاضي بن يوسف، المصدر السابق، ص122.
[3]- الآية 29، سورة التوبة.
[4]- ينظر الملحق رقم01.
[5]- القاضي أبي يوسف، المصدر السابق، ص 122.
[6]- الكاساني، المصدر السابق، ج7، ص111.
[7]- عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميعة، د.ط، ج8، د.ت، ص242.
[8]- البخاري، المصدر السابق، ص399.

أما غير العرب منه فيمنع الكتابي وغيره من الإقامة وله الدخول بإذن الإمام لمصلحة كأداء رسالة أو حمل متاع يحتاج إليه المسلمون، وإن دخل التجارة فيها كبير حاجة، لم يؤذن له إلا بشرط أن يؤخذ من تجارته شيئا ولا يمكن الإقامة أكثر من ثلاثة أيام.[1]

التقيد بأحكام الإسلام: وذلك من خلال التزامهم بالقوانين التي تطبق على المسلمين وذلك راجع إلى كونهم من الرعية الإسلامية وليس عليهم أي تقيد خاص بالمسلمين كالزكاة مثلا والجهاد حيث فرضت عليهم الجزية وهذا دال على احترام الإسلام لمعتقداتهم وديانتهم.[2]

التمييز عن المسلمين: يذكر الماوردي أن لا يساوى بين أهل الذمة والمسلمين في الطريق، عند المزاحمة ولا يمشون لأفراد متفرعين ويلجؤون إلى أضيق الطرق ويمنعون من ركوب الخيل الا في الغزو لأنها رمز للفخر، وإن لعزبنا في الذلة المضروبة عليهم في سائر الأمكنة ولا يعلو في بنيانهم على أبنية المسلمين وقد جاوز ذلك بهدم بنائه.[3]

سادسا: أوضاع أهل الذمة في المجتمع الإسلامي قبل العصر العباسي

I. في عهد الخلفاء الراشدين

1- في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لقد قام عمر بن الخطاب [4]بتقسيم الدولة الإسلامية، وعين في كل ولاية واليا مسؤولا أمامه مباشرة، ووظيفته قيادة الجيش والإمامة وإدارة الولاية غير أن أهل الذمة يستثنون في مجال المنازعات الدينية وسموح لهم في المنازعات المدنية، حيث قام عمر بن الخطاب بتهيئة سياسة إدارية خاصة بهم، فيطلب من الولاة ليوافوه كل سنة ليتشاور معهم في الأمور الإدارية الخاصة بأهل الذمة، وسن المعروف أن عمر بن الخطاب هو رمز للعدل فكان يأمر عماله بأن أهل الخراج إذا احتملوا أكثر من طاقتهم فلا يزيد عليهم ولا يحملون أكثر من ذلك، وكان عمر بن الخطاب يعامل أهل الذمة باللين والتسامح معهم، والعدل والمساواة في ما بينهم ويتبين لنا أنه قيل عنه حين شعر بقرب وفاته،

---

[1]- إبن قيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص392-393.

[2] - يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الاسلامي، مكتبة الوهبة، القاهرة، ط3، 1413هـ- 1992م.

[3]- ابن حبيب الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، ط1، دار إبن قتيبة، الكويت، 1409، 1989، ص185.

[4] - عمر بن الخطاب: بن نفيل بن عبد العز بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي أمه حنتمة بنت هاشم يلقب بالفاروق أسلم وعمره 27 سنة شهد بدار وأحد، أول من جمع الناس للتراويح ودون الدواوين ووضع الإخراج، توفي سنة 24هـ:(أنظر:عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البداية والنهاية، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م، ج1، ص ص 1086، 1092).

أوصى وهو على فراش الموت بأهل الذمة خيرا وأوصى الخليفة الذي يستحلفه بأهل الذمة خيرا وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفهم فوق طاقتهم.[1]

2- في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه[2]

لقد حظي أهل الذمة في هذا العهد بما حضوا به في عهد عمر بن الخطاب من تسامح وعدل، وهذا راجع إلى اقتدائهم بتأدية الجزية وما هم مطالبون به، وقد سار على نظام عمر بن الخطاب حيث ذكر أن عثمان بن عفان قد شار هو وولاته بالأنصار الإسلامية فنجد على سبيل المثال الوليد بن عقبة، أحد ولاة العثمان في العراق يدخل النصارى المساجد ويجري عليهم كل شهر وضمن لهم أرزاقهم شهريا.[3]

3- في عهد علي رضي الله عنه

لقد عاش أهل الذمة في عهد علي[4] رضي الله عنه في ظروف مستقرة حسنة وقد نعمر في ظل التسامح حيث تمتعوا بما كانوا عليه في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وذلك من خلال مساواته بينهم وبين العرب والموالي وأوصى بالذميين خيرا ودليل ذلك نجد اليهودي الذي اشتكى عليه ابن طالب إلى القاضي بترشيح فأنصفه هذا الأخير.[5]

من خلال هته الأمثلة يتبين لنا أن أهل الذمة قد تمتعوا بالمعاملة الحسنة من المساواة وتسامح وغيرها سوآءا في عهد عمر أو عثمان أو علي رضي الله عنهم.

II. في عهد بني أمية

1- أهل الذمة في العصر الأموي

لقد تمتع أهل الذمة بالمعاملة الحسنة والتسامح من قبل الخلفاء الأمويين مثله مثل عهد الخلفاء الراشدين ويبدوا ذلك جليا من خلال عهد معاوية [6]بن أبي سفيان الذي عرف عهد جديد لهذا التسامح، ودليل ذلك أنه عين لي ولده مربيا مسيحيا لتثقيفه ، إضافة إلى ذلك نجد أن عمر ابن العاص قد صلى في مصر في إحدى كنائس المسيحية وأن معاوية

---

[1]- علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص ص 125- 127 .

[2] - عثمان بن عفان: هو بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمه أروى بنت كرير من زوجاته ابنانا الرسول صلة الله عليه وسلم وقد اختلف في أمر مقتله ما بين عامي (35هـ 36ه):(أنظر أبو جعفر بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية، (د ت)،(د ط)، ص 787-788).

[3]- علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص ص 125- 127 .

[4]- علي بن أبي طالب: هو بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، دامت خلافته حوالي 5 سنين، 40هـ:(أنظر: أبو جعفر بن جرير الطبري، المصدر السابق، ص ص 894- 898.

[5]- علي حسن الخربوطلي، المرجع ا لسابق، ص128).

[6]- معاوية بن أبي سفيان وهو: بن حرب بن أمية، بن عبد شمس، أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، بويع في الكوفة سنة 40 ه، وهو مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهات العرب المتميزين الكبار، ولد بمكة وأسلم يوم فتحها سنة 8ه، وهو من جعل دمشق مقر الخلافة وأول من نصب المحراب في المسجد .(أنظر اليعقوبي، المصدر السابق، ص 122-123).

بن أبي سفيان صل عند جبل الجلجلة ببيت المقدس، وكان يستقبل رجال الدين المسيحيين ويكرمهم.[1]

نفس الشيء نجده في عهد عمر بن عبد العزيز[2]، حيث كان متسامحا مع الذميين، لا أنه كان حريصا على أحوال المسلمين وذلك من خلال الكتاب الذي بلغه من قبل عمر حول مصالح الإسلام ولما قرا مطلب من الكتاب حسان بن يزيد ان يسلم فإذا السلم فهو منهم وهم منه، وذلك لأجل مصلحة الإسلام فأسلم حسان[3]، اتباعا لقوله تعالى:﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ٥٧** ﴾.[4] إلا أننا نجد بعد فترة حكم معاوية بن أبي سفيان وعمر بن عبد العزيز أن الخلفاء تمادوا في تساهلهم مع أهل الذمة حيث نجد الخليفة عبد الملك [5]بن مروان (65-76ه) حيث سمح لأهل الذمة بالمشاركة في مجالسه، ودليل ذلك أنه قام بتولية يوحنا الدمشقي على بيت المال فضلا عن استكتابه كل من شمعل وسرجون بن منصور، وهما من أهل الذمة على ديواني الخراج والجند في الشام غير أن تقريب أهل الذمة في المجالس والاستماع إلى آرائهم.

أو نوليهم في الوظائف المهمة لم يكن بسبب ديني إنما يعزى الأمر إلى كونهم من رعايا الدولة الإسلامية، فضلا عن تمتعهم بشروط الكفاية الوظيفية، والخبرة في معرفة لغات الأمم وتلك كانت بأمس الحاجة إليها هاته الدولة، غير أنهم حين اكتشف الخلفاء الأمويين، أن بعض هؤلاء الرعاء لم يستوعبوا متطلبات المرحلة الجديدة، ووقفوا بوجه التفسير عملوا على اقصائهم بسبب عدم تجاوبهم مع غايتها الأساسية، فعملوا على إقصائهم.[6]

من خلال ما ذكر سابقا يتبين لنا أن أهل الذمة قد عاشوا في ظل المجتمع الإسلامي بمختلف أصنافهم من نصارى ويهود وصابئة وغيرها، حيث كان ينظر الإسلام إليهم بتسامح كعدم إكراههم في الدين وترك لهم الحرية التامة في عقيدتهم ومبادئهم، غير أن الإسلام كان يلزمهم ببعض الشروط كإبدائهم الاحترام للمسلمين ودفعهم الجزية التي تعتبر العهد الذي أعطاهم الحق في العيش في دار الإسلام بوضع مستقر وأمن وهكذا أصبحوا رعايا في الدولة الاسلامية وجزء منها يساهمون في بناء المجتمع من خلال

---

[1]- علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص128-129.

[2]- عمر بن عبد العزيز: هو بن مروان وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وهو الخليفة الصالح والخليفة العادل، توفي سنة 101ه وقيل أنه دس له السم من قبل بدير بن سمعان وكانت مدة خلافته 2سنة ونصف. (أنظر اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص 226).

[3] - ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ص459.

[4]- الآية57، سورة المائدة.

[5] - عبد الملك بن مروان:هو بن الحكم وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، بويع بالشام سنة 65ه، وهو من عظماء الخلفاء ودوهاتهم، حيث نقلة الدواوين في أيامه إلى العربية و هو أول من صك الدنانير في الإسلام، توفي سنة86ه .(أنظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص 187).

[6]- شكر الجوادي، مشاورة أهل الذمة دراسة تاريخية فقهية عامة، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، م11، العدد 1، 29-06-2011، ص 296.

توليهم لعدة وظائف ونيلهم لمراكز هامة فيها وبهذا يكتمل المجتمع الاسلامي ليس بشرط أن يكون فيه سوى المسلمون .

الفصل الثاني
علاقة المحتسب بأهل الذمة في المجتمع الإسلامي

أولا: تعريف الحسبة
ثانيا: حكم الحسبة ومشروعيتها
ثالثا: نشأة الحسبة وتطورها:
رابعا: آداب المحتسب وشروطه
خامسا: مهام المحتسب وأشهر المحتسبين
سادسا: دور المحتسب في مراقبة ورعاية أهل الذمة

تمهيد:

على الرغم من رفاهية المجتمع الإسلامي ورغد العيش الذي كان يتمتع به خاصة خلال العصر العباسي وبلوغه أعلى مستويات التحضر والتطور في شتى الميادين، إلاّ أنه بقي محافظا على إرثه الحضاري وقيمه النبيلة، متمسكا بتعاليم الدين الإسلامي المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إضافة إلى الاهتمام بالشريعة التي جمعت الناس ووحدت كلمتهم، وبالتالي كان المجتمع الإسلامي مجتمعا محافظا لم يغريه بريق التمدن بل بالعكس كانت تلك هي سمته التي تميز بها عن باقي المجتمعات الإنسانية في تلك الفترة، إضافة إلى ذلك تشبع نظمه الحضارية بتلك القيم النبيلة وارتباطها بالشريعة الإسلامية.

فمن بين أهم النظم التي كانت تخدم المجتمع الإسلامي نظام الحسبة، الذي مكّن أفراده من تحقيق غاياتهم ومنافعهم في الحياة، وكان الغرض منه هو أن تبقى شريعة الله هي منهج حياتهم، وليس مجرد شعائر دينية يقومون بها أو طقوس يؤدونها.

لذلك، لم تكن الحسبة مجرد هيئة لرعاية الأنشطة الدينية ومتابعتها وإنما هي أيضا هيئة إدارية شبه قضائية لها عدة مهام لمراقبة مختلف الأنشطة الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية. لذلك، كانت محل اهتمام الفقهاء المسلمين في موضوعاتهم ودراساتهم الفقهية، وقد أثبتوا مدى ضروريتها لكل مناح الحياة و بالتالي أكدوا على وجوبها سواء من خلال استشهادهم بالقرآن والسنة أو من خلال تزايد متطلبات الحياة في المجتمع الإسلامي.

وكان القائم على هذه الهيئة يدعى المحتسب، الذي كان يحظى بالاحترام في المجتمع الإسلامي لمكانته الدينية والإدارية غير أنه عليه شروط يتقيد بها وله عديد من الصفات يتحلى بها تجعله يقوم بمهامه الموكلة إليه على أحسن وجه.

بالرغم من أنه كانت أنظمة تشبه الحسبة كانت تمارس منذ القدم وفي أماكن مختلفة من العالم، لكنها لم تكن في مستوى الحسبة التي كانت من إبداع المسلمين والتي امتهنها الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه رضي الله عنهم من قبل، ثم تطورت خلال العصرين الأموي والعباسي، حيث كانت تطبق على كل رعايا المجتمع الإسلامي حيث تشمل المسلم وغير المسلم.

وقبل التطرق إلى نظام الحسبة وآلياته وأهميته في المجتمع الإسلامي العباسي ينبغي أولا تبيان مفهوم الحسبة من الناحية اللغوية والاصطلاحية:

أولا: تعريف الحسبة

I. لغة:

الحسبة في اللغة: بكسر الحاء وتسكين السين، اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد والاحتساب مأخوذ من الحسب وهو على مجالات عديدة منها :

1- **العدد والحساب:** يقال: حسبت الشيء أحسبه حسابا وحسبانا إذ أعددته ويقال أنها مصدر احتسب، يحتسب، احتسابا والحسبة مصدر احتسابك الأجر على تقوى الله، تقول حسبة واحتسب فيه احتسابا الاحتساب طلب الأجر والاسم الحسبة بالكسرة وهو الأجر.[1]
كما ورد في القرآن الكريم وذلك من خلال قوله تعالى:﴿ **ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ** ﴾.[2]
وفي قوله أيضا: ﴿**وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا**﴾.[3]
وهنا نلاحظ أن العد احتساب الأجر عند الله عز وجل، إضافة إلى أن الحسبة هي طلب الأجر من الله تعالى، وهذا ما ورد في الحديث النبوي الشريف: ((**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**)).[4]

[1] - ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص305.
[2] -الآية 05، سورة الرحمن.
[3] -الآية 12، سورة الإسراء.
[4]- البخاري، التاريخ الأوسط، تح: محمود زايد، دار الوعي، مكتبة التراث، حلب، ج2 -1397ه1977، م، ص37.

2- الإنكار: ومن معاني الحسبة الإنكار، كما يقال: احتسب فلان عن فلان، أي احتج عنه.[1]

ويقال أيضا أنكر عليه، قبح عمله وتسميته الإنكار بالاحتساب لأن المعروف إذا ترك فالأمر بإزالة تركه، أمر بالمعروف.[2]

3- الظن: بمعنى الحسبة، وقد ذكر هذا في القرآن الكريم لقوله:﴿**وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾، [3]ونلاحظ من خلال التعاريف السابقة للحسبة معاني كثيرة منها:

- العدد والحساب.
- طلب الأجر والثواب.
- الإنكار والظن.

II.اصطلاحا:

للحسبة تعريفات كثيرة ومتنوعة، فقد عرفها الفقهاء من خلال كتبهم الفقهية حيث قالوا: يعرفها القاضي أبو يعلى الفراء بأنها: أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله.[4]

والحسبة هي تناول لكل مشروع يفعل لوجه الله مع كثرة تعدادها، ونهي عن المنكر عند الله أجرا. [5]

يعرفها الغزالي على أنها: أمر بالمعروف ومنع عن المنكر لحق الله وصيانة للممنوع عن مفارقة المنكر[6]وهنا نبرز مثالا عن الأمر والنهي بين المؤمنين في قوله تعالى: ﴿**وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ**﴾ [7]، بالإضافة إلى تعريف آخر حسب ما قدمه لنا الدكتور محمد كمال الدين بقوله :فاعلية المجتمع في الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله تطبيقا للشرع الإسلامي[8]، وهناك تعريفات أخرى حسب عبدالعزيز بن مرشد على أنها رقابة إدارية تقوم بها الدولة لتحقيق مجتمع مسلم صالح بردهم إلى ما فيه صلاحهم وإبعادهم عما فيه ضررهم وفقا لأحكام الشرع.[9]

---

[1] - أحمد صبحى منصور، الحسبة دراسة أصولية تاريخية، ط1، مركز المحروسة، مصر، 1995م، ص7.

[2] - عمر بن عوض السنامي، نصاب الاحتساب، تح: مريزن سعيد مريزن عسيرة، دط، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزية ، 1405ه، 1406ه، ص83.

[3] -الآية 03، سورة الطلاق.

[4] - أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانة، شركة مكتبة أحمد بن سعد بن نيهانسرو بابا، دار الفكر، بيروت، ط2، 1384ه، ص413.

[5] - السنامي، المرجع السابق، ص83.

[6] - أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، د ط مكتبة كرياط فوترا سماراغ، أندونيسيا، دت، ج2، ص323.

[7] -الآية 71، سورة التوبة.

[8] - محمد كمال الدين، أصول الحسبة في الإسلام، الإسكندرية، نشأة المعارف، 1986م، ص 16.

[9] - ابن مرشد عبد العزيز بن محمد، نظام الحسبة في الإسلام، رسالة ماجستير، نوقشت جامعة الأمير محمد بن مسعود الإسلامية، الرياض، مطبعة المدينة، 1393ه، ص16.

إضافة إلى الشرازي: حيث عرفها على أنها أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله وإصلاح بين الناس.[1]

وفي الأخير يتبين لنا أن الحسبة هي الدعوة للقيام بكل عمل صالح يؤدي إلى بناء مجتمع سليم يسوده التآخي والتآمر بالمعروف بين المؤمنين والنهي عن كل عمل قد يؤدي إلى حدوث خلل في المجتمع.

ثانيا: حكم الحسبة ومشروعيتها

I. حكم الحسبة:

يستمد عمل الحسبة أصوله من الكتاب والسنة وحكم ممارستها فرض كفاية على كل مسلم ومسلمة، وذلك من خلال توفر هذه الأدلة القطعية حيث وجبت على الأمة الإسلامية إفرادا ورجالا، وحكاما ونساء حيث يقول ابن حزم في هذا المجال "اتفقت الأمة الإسلامية على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم".[2]

وهنا أصبح من الضرورة على أنها فريضة لهذا يجب عدم إهمالها، إضافة إلى أن دلائل مشروعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تبين أنها ن السند الشرعي لأصول الحسبة في القرآن، وذلك من لسبب اعتبارها سبيل للهداية والتوجيه والإرشاد، والله تعالى حبب إلى عباده المؤمنين الأمر بالمعروف والخير ونهاهم عن المنكر، وفي ظل هذا نستند بعدة آيات منها:

قوله تعالى:﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾.[3]

ومنه فنلاحظ أن حكم الحسبة هو الوجوب وهذا ما اتفق عليه الفقهاء باختلاف مذاهبهم، فيرى الغزالي على أن حكمه فرض وواجب على كل مسلم ومسلمة، وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض واختص الفلاح بالقائمين به وللمباشرين [4]وفي هذا يقول تعالى:﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾.[5]

وهنا يبين لنا الله أن الحسبة ضرورية و هي فرض علينا، ومن الضروري الدعاء للخير والمعروف والنهي عن ارتكاب المعاصي

أ- **مشروعية الحسبة من خلال القرآن الكريم**: لقد تناولت العديد من الآيات القرآنية الحسبة مشروعيتها ومن بين هذه الآيات نذكر:

---

[1] - الشيرازي، عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: السيد الباز العريني ، القاهرة، مطبعة نجمة التأليف والترجمة، 1946، ص 06.

[2] - ابن حزم، المصدر السابق، ج4، ص171.

[3] الآية 02، سورة المائدة.

[4] - الغزالي، المصدر السابق، ج2، ص323.

[5] - الآية 104، سورة آل عمران.

1- قوله تعالى:﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.[1]

وهنا يبين لنا أن زوال الحسبة وإهمالها موجب للعن.

2- وقوله أيضا:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾.[2]

3- وقوله أيضا: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ الزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[3]، وهنا جعل الله تعالى لها بابا وفتحا، حيث وعد المؤمنين بالنصر والتمكين في الأرض والنصر على الأعداء

4- وقوله أيضا عزوجل :﴿ الْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾[4]، وهنا جعل الله تاركها من المنافقين ومأواه الدرك الأسفل

5- وقوله أيضا:﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[5]، وهنا يبين لنا الله عز وجل ان الصبر والأمر بالمعروف من الفضائل الواجبة على الناس لكي ينالوا الخير والثواب.

6- وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[6]

7- وقوله تعالى:﴿ التَّٰئِبُونَ الْعَٰبِدُونَ الْحَٰمِدُونَ السَّٰئِحُونَ الرَّٰكِعُونَ السَّٰجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[7]

وهنا جعل الله جلا وعلا الأمر بالمعروف بشرى ونجاة للمؤمنين.

نستنتج من خلال ما حملته الآيات القرآنية أن الحسبة واجبة على كل فرد وفريضة على كل مسلم وأن الله قد هنأ عباده الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالنجاح في الدنيا والاخرة وحذر المنافقين والآمرين بالمنكر بالعقاب والعذاب.

نلاحظ أنه يوجد أحاديث كثيرة في هذا الموضوع، ومن خلالها استدل بعض العلماء على وجوب الحسبة، بينما اعتبر البعض أن تركها كبيرة وهذا ما هو راجع في هذا

---

[1] - الآية 78-79، سورة المائدة.
[2] -الآية 110، سورة آل عمران.
[3] -الآية 40-41، سورة الحج.
[4] -الآية 67، سورة التوبة.
[5] - الآية 17، سورة لقمان.
[6] -الآية 104، سورة آل عمران.
[7] -الآية 112، سورة التوبة.

المجال، حيث باشر الرسول صلى الله عليه وسلم الموضوع بنفسه قولا وعملا، ومن خلال الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع نذكر:

1- قوله صلى الله عليه وسلم: ((**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**))، وهنا يبين لنا أن الحسبة أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يستطيع أن يكون فرض عين وكفاية

2- وقوله صلى الله عليه وسلم : ((**والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكنّ الله أن يبعث الله عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**)).[1] وهنا يظهر لنا من خلال هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يهتم كثيرا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث حذر المؤمنين من الوقوع في غضب الله وعقابه في حالة ارتكاب المعصية والذنوب، فيفقد المسلم فرصة الاستجابة عند الدعاء.

3- عن أبي سعيد الجذري رضي الله عنه قال أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((إنّ **أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**)).[2]

ومن خلال هذه الأحاديث يتضح لنا أن حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الوجوب، حيث أن المعتزلة لم تجعله واجبا فحسب بل أصلا من أصول الإيمان عندهم ومقتضى هذا الوجوب هو أن الحسبة للأفراد ليست حقا يأتونه أو يتركونه إذا شاءوا بل واجب عليهم أي ليس لهم الحق أن يتخلوا عنه فهو فرض سواء على الحكومات أو الجماعات أو غيرها ومنه فالسنة النبوية بدورها اهتمت بهذا المجال وأكدت عليه واعتبرته من الأساليب المنجية للعبد[3]

جـ مشروعية الحسبة عند العلماء بالإجماع:

يصف لنا الإمام الغزالي أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحسبة أهم تطبيقاته وهو القطب الأعظم في الدين وهو المهمة الرئيسية التي بعث من أجلها المرسلون [4]

ورأي العلماء في حكم الحسبة: هناك رأيان :

أ-الرأي الأول: أن الحسبة فرض كفاية ولها أدلة منها:

1-استدلوا بقوله تعالى:﴿ **وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾.[5]

وهذه الآية تدل على أن التفقه في الدين فرض كفاية لذلك طلب الله من فئة المؤمنين الخروج للتفقه.

---

[1] - الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت 8/174ص368.

[2] - القزويني، سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج2دار إحياء الكتب العربية، ص1349.

[3] - سعيد علي شبلان، دعوى الحسبة في الفقه الإسلامي، مقارنة بالنظم المناظرة، رسالة دكتوراه، نوقشت، الرياض، 1418ه، 1992م، ص222.

[4] - الغزالي، المصدر السابق، ج2، ص302

[5] - الآية 122، سورة التوبة.

ب-الرأي الثاني: الحسبة فرض عين[1]، والأدلة التي تبين ذلك نجد منها :قوله تعالى :﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾. [2]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ويصير فرض عين على القادر إذا لم يقم به عبرة هذا بالنسبة للفرد المولى بالحسبة.

ويرى العلماء أن قوله تعالى :﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ** ﴾ تفيد التبعيض، وأن هذا لا ينبغي وجوب الحسبة على الآخرين لأنه ثابت في الأحاديث التي تدل عن رفع الأذى وكذلك رأوا أنه على كل مسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك من خلال ما أوتي الفرد من قوة سواء بدنية أو عقلية بالنسبة للمتطوع وحكمها فرض كفائي[3].

ثالثا: نشأة الحسبة وتطورها:

لقد كانت هناك أنظمة خاصة في مجال الرقابة على الأسواق قديما وكذلك في مجال الأخلاق ومثال ذلك الإغريق حيث كان يوجد في سلك وظائفهم الإدارية، حيث تتعدد مهامهم كمهمة الرقابة على المكاييل والموازين ومدر سلامتها وعلى ما يعرض للبيع، وكانت هذه الأنظمة تنتقل إلى شعوب أخرى منها: الرومان كانوا يتبعون نظام الكنسورة والكنسور سامي مهمته الرقابة العامة على الأسواق وكذلك الأخلاق والإحصاء، فتطورت هته الأخيرة مع الاحتفاظ بها حتى وجدها العرب المسلمون في الأماكن التي وصل إليها نفوذهم في المشرق والمغرب فأبقوا عليها لحاجتهم، غير أنهم طور وصبغوه بصبغة دينية إسلامية واضحة.[4]

ومن بين الأمثلة في الدين ظهور الحسبة ليس كمصطلح في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان أول من مارس مهمات الحسبة، ونضرب، مثالا على ذلك في مجال الطعام، حيث أنكر على بائع الطعام أن يجعل ما أصابته المطر فابتل هذا من بين الأمثلة، كما أنه ذكر عنه أنه قام بتعيين عمر بن الخطاب على سوق المدينة ولسعيد بن العاص على سوق مكة دليلا على نهجه السليم في نظام الحياة في مجال الأخلاق.[5]

ومن خلال هذا يتبين لنا أن الحسبة لم تكن ظاهرة كمصطلح، بل كأفعال في تسيير النظام الحياة في شتى المجالات عن أسواق وأخلاق وغيرها.

ومن الدلائل التي كانت تبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث أن حياته كلها كانت أمر ونهي، نجد في مثال يذكره شيخ الإسلام ابن تيمية أنه كان ينهي في مجال التعامل في الأراضي من المخابرة وكراء الأراضي

---

[1] - أبو يعلى الفراء، المصدر السابق، ص414

[2] -الآية 104، سورة آل عمران.

[3] - ناجي بن حسن بن صالح حضيري، الحسبة النظرية والعملية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الفضيلة الرياض، السعودية، ط1425 1ه، 2005م، ص85

[4] - موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص21.

[5] - موسى لقبال، المرجع سابق، ص22.

وفسر ذلك أنهم كانوا يشترطون لرب الأرض زرع بقعة معينة، وهذا الشرط هو باطل، فهو كما لو شرط في المضاربة لرب المال دراهم معينة، فإن هذا لا يجوز بالاتفاق ويرى صلى الله عليه وسلم أن المعاملة هي تقوم على أساس العدل وفي الحقيقة أن المشاركة إنما تكون إذ توفر في كل من الشريكين جزء شائع كالثلث والنصف، وإن كان مقدار لم يكن عدلا ويعد ظلما، كما نجد أمثلة تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأمر بالمعروف فيأمرهم في مجال هذه من بين صور احتسابه في هذا المجال.[1] وقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم كلما أمر بالمعروف ونهي عن المنكر حيث يقال عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم"[2] وهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر أيضا الناس بالأمر والنهي.

الحسبة في عهد الخلفاء الراشدين: إن هذا العهد هو امتداد للعهد النبوي في كثير من جوانب نظم الحياة كالحكم والإدارة.

أولا - خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: يتبين لنا أن أبي بكر الصديق[3] خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار على نهج رسول الله في تسييره لأمور الأمة ويتبين لنا ذلك من خلال عدة أمثلة وأبرزهم: أنه قام بمواجهة وقتال أصحاب الردة فهذه وجه من النهي عن المنكر حيث قال قولته الشهيرة "والله لو منعوني عناق بعير كان يؤدونه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم- لقاتلهم على منعه"[4] وصور احتسابه رضي الله عنه كثير غير أن مواجهته لأصحاب الردة كأبرز مثال على ذلك.

ومن الأحاديث الدالة على أن أبي بكر كان يتبع نهج رسول الله – صلى الله عليه وسلم - نجد قيل قام أبو بكر فحمد الله وأنسى عليه، ثم قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ** ﴾.[5] وإنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول" إن الناس، إذ رأوا المنكر لا يخيرونه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه"[6] وهذه من صور أنه كان يمارس الحسبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانيا- في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن عمر لم يخالف نهج الرسول صلى الله عليه وسلم قد كانت خلافته معروفة بالعدل باتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1]- ابن تيمية، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص27-30.

[2]- سنن ابن ماجه، المصدر السابق، حديث رقم4004، ج1، ص1327.

[3] - أبي بكر هو: هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، من أشهر أعماله التصدي لأهل الردة سنة 11ه، توفي سنة 13 ه، وولى أمره عمر كخليفة،(ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م، ج1، ص ص 320، 331، 333).

[4] - ابن تيمية، المصدر السابق، ص57.

[5] -الآية 105 سورة المائدة.

[6] - سنن بن ماجة، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج1، ص1327.

باحتسابه على الناس في شتى المجالات فنجد في مجال محاربته للغش في الأسواق مثلا: أنه رأى رجلا قد شاب اللبن بالماء للبيع فأراقه، ومن صور احتسابه أيضا في مجال الخمر[1] أنه أمر بتحريق حانوت كان يباع فيه الخمر لرويشد الثقفي، وقال:" إنما أنت فويسق لا رويشد"[2] فهذه الأخيرة من المنكرات ويجوز إتلافها، ومن خلال هذا يتبين لنا أن عمر ابن الخطاب كان يمارس الحسبة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات.

ثالثا- في خلافة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما: لقد سار هاذان الرجلان على نفس الطريقة التي كان عنها أبي بكر وعمر رضي الله عنهما امتثالا لسنة الرسول- صلى الله عليه وسلم- فمثلما أمر عمر بن الخطاب في محاربة المنكرات فقد أمر عثمان بن عفان بتحريق المصاحف المخالفة للإمام، كما اهتم بمصالح المسلمين وأشرف عليها.

ونجد كذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي أمر بتحريق المكان الذي يباع فيه الخمر،[3] وهنا نجد أنه قام بما كان يقوم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومن صور احتساب علي رضي الله عنه أنه مر بالقصابين فقال: يا معشر القصابين، لا تنفخوا من نفخ اللحم فليس منا، ونجد كذلك من صور احتسابه في التجارة، حيث مر على التجار فقال لهم: اتقوا الله في الحلف، فإن الحلف يزجي السلعة ويمحق البركة،[4] ويذكر الغزالي أمثلة عن ممارسة علي رضي الله عنه في مجال الجهاد حيث يقول: أول ما تغلبون عليه من الجهاد، الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله.

ومن خلال هذا يتبين لنا أن علي رضي الله عنه كان من الآمرين والناهين خلال عهده كسائر الخلفاء من قبله إتباعا لسنة الرسول ﷺ.[5]

رابعا: آداب المحتسب وشروطه

I: آداب المحتسب

لقد جاء الإسلام لتحرير العباد وإخراجهم من الظلمات إلى النور وهذا من خلال العلم والمعرفة حيث يساهمان في ارتقاء الإنسان المسلم إلى أعلى الدرجات بامتيازه عن

---

[1] - ينظر الملحق رقم، 03.

[2] - ابن تيمية، المصدر السابق، ص51.

[3] - نفسه، ص49.

[4] - عبد العزيز بن محمد بن مرشد، نظام الحسبة في الإسلام دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية للدراسات العليا، المعهد العالي للقضاء، 1992م-1393ه، ص22.

[5] - أبي حامد الغزالي، المصدر السابق، ج2، ص308.

غيره بعدة صفات وآداب وفي هذا الصدد نذكر آداب المحتسب التي يجب أن يتحلى بها نجد منها:

• **تقوى الله:** وهي صفة حزب الله وأولياءه وذلك نجده في قوله تعالى:﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾[1]، والتقوى هي محصلة للعلم وعلى المحتسب أن يتقي الله تعالى.

• **العلم:** من آداب المحتسب وهذا ليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع،[2] ويقول الله تعالى في هذا: ﴿ **أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ**﴾.[3] ومن خلال هذه الآية يتضح أنه على المحتسب أن يتحلى بالعلم و الأخلاق كي لا يظلم أحد و يكون قدوة للذين يأمرهم بالبر.

• **الصبر:** على المحتسب أن يتحلى بالصبر فيضرب لنا بعض السلف هذا فاشترطوا على من يريد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أوجبوا توطين النفس على الصبر وليثقوا أن الثواب من عند الله[4]، وقد أوجب الله تعالى الاستعانة بالصبر وذلك من خلال قوله :﴿ **وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ**﴾.[5]

• **الرفق:** إن المعاملة الحسنة والرفق من الآداب التي يتحلى بها المحتسب ويجب أن تتوفر فيه هذه الصفة فأقر الغزالي بذلك، ويوجب اقتداء المحتسب بالرفق وهذا انتهاجا لسنة الأنبياء صلوات الله عليهم،[6] وفي ظل هذا يقول عز وجل :﴿ **وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ** ﴾.[7]

ومن خلال هذا يتبين لنا أن هذه الصفات الحميدة يجب على المحتسب أن تتوفر فيه، وبهذا يكون هو القدوة حسنة ومثالا للاقتداء به من قبل غيره، وهذا ما يعزز مكانته وقيمته في نفوس الناس.

II: شروط المحتسب

لقد ذكر العلماء جملة من الشروط التي ينبغي توافرها في المحتسب سواء المولى أو المتطوع، ومن العلماء أفاض تلك الشروط حيث يمكن للمحتسب أن يقوم بتأدية مهامه على أكمل وجه ومن بين أهم الشروط نذكر:

• **الإسلام:** وهو من أهم الشروط، بل هو أساسها وأصلها الذي ترجع إليه، وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حقيقته فريضة شرعية، وواجب ديني أكيد يباشر المسلم امتثالا لأمر الله ورسوله الكريم، ومن المستحيل أن يقوم بهذا الواجب كافر أو أي

---

[1] - الآية 62-69، سورة يونس.
[2] - أبي حامد الغزالي، المصدر السابق، ج2، ص328.
[3] -الآية 44، سورة البقرة.
[4] - أبي حامد الغزالي، نفسه، ج2، ص328.
[5] -الآية 54، سورة البقرة.
[6] - أبي حامد الغزالي، المصدر السابق، ج2، 329.
[7] -الآية 159، سورة آل عمران.

شخص لا يدين بدين الإسلام، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نصرة للدين واعتزاز لأهله، [1] حيث يقول الله تعالى : ﴿**وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا** ﴾[2].

• **التكليف**: ويقصد به البلوغ وعلى المحتسب أن يكون مكلفا، إن أريد به شرط الوجود، فأما إمكان الفعل فهو جائز فلا يستدعي إلا العقل فمثلا نجد الصبي المميز وإن لم يكن مكلفا فله إنكار المنكر وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهي، وإذا فعل ذلك نال ثوابا ولم يكن لأحد منعه بحيث أنه ليس بمكلف[3].

• **الإيمان**: هو شرط يجب أن يتوفر لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله وهو جاحد لأهل الدين وعدو له[4]، كما أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر هو ثمرة من ثمرات الإيمان دليل ذلك قوله سبحانه و تعالى: ﴿ **كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ** ﴾.[5]

• **العدالة**: لقد اتفق العلماء في اشتراط العدالة في المحتسب المولي حيث قال ابن تيمية:" فإن الأئمة متفقون على أنه لا بد من المتولي أن يكون عدلا أهلا للشهادة"[6] وقد اعتبرها الغزالي شرط يجب توفره في المحتسب، حيث قالوا أن الفاسق ليس له الحق في الاحتساب لأنه هو أصلا يأمر بما لا يفعل وهو أصلا لا يخدم نفسه فيكف يخدم غيره ويصلحه.[7] وهذا دال على وجوب شرط العدالة في المجتمع ويقول الله تعالى :﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ** ﴾.[8]

▪ **العلم بحكم المنكرات:** لا بد لوالي الحسبة أن يكون عالما بالأحكام الشرعية مع القدرة على البحث وفهم الأدلة، وينبغي له معرفة المنكرات الظاهرة وأساليب الغش والتحليل في البيع والشراء وهذه معروفة في المنكرات هي من بين أهم العلوم التي يجب أن يتسلح بها المحتسب.

▪ **الحرية**: إن من شروط المحتسب أن يكون حرا طليقا لا مملوكا، فالمملوك لا ولاية على نفسه، فكيف يمكن أن يكون واليا عن غيره، فمن واجبه أن يمتثل لأوامر سيده.

الذكورة: يشترط في المحتسب أن يكون ذكرا فلا يجوز للمرأة أيا من الولايات الشرعية، لأن ولاية الحسبة تشترط الاختلاط للتعرف على المحتسب عليهم، وديننا ينظر إلى المرأة

---

[1] - ابن النحاس، تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير.من أفعال المالكين، تحقيق: عماد الدين عباس سفير، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص33-34.

[2] -الآية 141، سورة النساء.

[3] - أبي حامد الغزالي، نفسه، ج2، ص308.

[4] - أبي حامد الغزالي، المصدر السابق، ج2، ص308.

[5] الآية 110، سورة آل عمران.

[6]- ناحي بن حسن بن صالح حضيري، الحسبة النظرية والعملية عند ابن تيمية، ط1، الفضيلة لرياض، السعودية، 1425ه-2005م، ص97.

[7] - أبي حامد الغزالي، المصدر السابق، ج2، ص308-309.

[8] -الآية 08، سورة المائدة.

على أنها مأمورة بالقرار في البيت،[1] حيث يقول تعالى :﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ** ﴾.[2] أما في قيام المرأة بالحسبة على النساء تعتبر فرض كفاية ويقول أيضا :﴿ **وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ** ﴾.[3]

خامسا: مهام المحتسب وأشهر المحتسبين

I: مهام المحتسب

تعددت اختصاصات المحتسب والمهمات الموجهة إليه حيث يعد ركيزة أساسية تقوم عليه الدولة الإسلامية ومن بين هذه المهام الموكلة نذكر:

1- له أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان وكثير من الأمور الدينية، فهو مشتت بين ولاة الأمور فمن أدى فيه الواجب وجب طاعته فيه، فعلى المحتسب أن يأمر العامة بالصلوات الخمس في مواقيتها، ويعاقب من لم يصلي بالضرب والحبس؛[4]

2 - مراقبة الأسواق حيث أنه من مهامه معرفة وحدات الوزن والكيل والأذرع المستعملة في الأسواق، والاحتفاظ بنموذج من عيار الوزن حتى يقارنه ببقية العيارات المستعملة؛ [5]

3 - محاربة المظاهر الشاذة في المجتمع ومن ذلك أنه كان يمنع المتطفلين على العلم من التدريس حتى لا يظللوا الناس ويدخلوهم في متاهاتها؛[6]

4 - إجبار البائعين على المنافسة الشريفة ومنع التجار من الاحتكار؛ [7]

5 - لمراقبة التجار لمعرفة مدى التزامهم بنظام التسعير؛[8]

6 - كذلك من مهامه أنه إذا رأى أحدا يحتكر طعاما، وهو أن يشتري كميات كبيرة من المواد الغذائية ويزاد ثمنها أكثر مما هو عليه، إلزام البائع أو التاجر الذي يقوم بها على احتكارها بسعر المثل لأن الاحتكار[9] حرام؛[10]

7 - كما نجدها في المعاملات المنكرة كالربا وما هو ممنوع في الشرع مع اتفاق المتعاقدين فيما بينهم بالتراضي فعلى والي الحسبة في هذا الأمر إنكاره للمعاملات والزجر عليها؛

---

[1] - بن صالح حضيري، المرجع السابق، ص ص 95، 97، 98.
[2] - الآية 33، سورة الأحزاب.
[3] - الآية 71، سورة التوبة.
[4] - ابن تيمية، المصدر السابق، ص 16 .
[5] - العابدي عبد السلام، الملكية في الشريعة الإسلامية، ، مكتبة الأقصى، ج2، ص244
[6] - موسى لقبال، المرجع السابق، ص 27 .
[7] - ابن تيمية، المصدر السابق، ص 37 .
[8] - محمد مبارك، الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة، ط 2دار الفكر، بيروت، 1980م، ص66
[9]- الاحتكار: اسم من الحكر واحتكر الشيء أي احتسبه انتظارا لغلائه، (أنظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى الشيرازى، دار إحياء التراث، ج2، 1417ه، 1997م، ص236).
[10]- محمد بن أحمد بن بسام، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424ه2002م، ص297.

8 - يعمل المحتسب على تأديب من جاهر بإظهار الملاهي المحرمة ويعمل على فصلها؛
9 - يقوم المحتسب باختيار الحرسين في القبائل والأسواق؛
10- للمحتسب الحق في منع أرباب السفن من حمل أكثر ما تسعه السفينة وذلك خوف من غرقها، وكذلك توقيفهم عن الرحلة إذا اشتدت الرياح؛[1]
11 - يؤكد على الأطباء بوجود الأدوات الطبية الكاملة مع أداء اليمين ونهيهم على عدم استخراج الدم في غير فصلها؛[2]
12 - يلزم المسلمين بالتزام الحياة الجماعية، وذلك من بارتياد صلاة الجماعة وإقامة الجمع إذا اكتمل النصاب الشرعي ويتشدد مع المؤذنين ويختبرهم في أوقات الآذان، كما يأخذ بالشدة كل من يشرب الخمر أو يزني أو يمارس الملاهي المحرمة أو ينتهك حرمة شهر رمضان أو يتطلع إلى منازل الناس.[3]
يتبين لنا من خلال هذه المهام الخاصة بالمحتسب أنها تعمل على رعاية الأفراد ومراقبتهم، والسهر على التسيير الأحسن للمجتمع في شتى المجالات منها الجانب الأخلاقي والاقتصادي والديني والاجتماعي كل هذا بغية تحقيق نجاح نظام الحسبة.

II: أشهر المحتسبين.

يرجع بعض المؤرخين أن نظام الحسبة يعود إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث يعتبر أول من مارس الحسبة ومن أمثلة ذلك في مجال الأسواق نجد أنه نهى عن تغرير البائع وكذلك عن الشراء من دون معرفة القيمة، وإذا كانت السلع قليلة أو كثيرة جدا هنا لم يسعر لها وفي هذا نجده قد نهى عن تحديد قيمة للسلعة.

كما نجد في عهد الصحابة رضوان الله عليهم الذين اتبعوه في شتى الأمور نجد من بينهم عمر بن الخطاب ومن الأمثلة الدالة على ممارسته للحسبة نجد أنه أمر بتحريق حانوت كان يباع فيه الخمر، وكذلك علي بن أبي طالب الذي أمر بتحريق قرية كان يباع فيها الخمر.[4]
ومن الذين تولوا منصب الحسبة نجد الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن أبي القاسم خلف ابن أبي الثناء محمود والذي يعرف "بابن بنت الأعز"، حيث كان قاضي القضاة في مصر ورئيسا على المحتسبين فيها هذا الأخير أشتهر بالعلم والعدل وحسن السيرة، وكان محبب لدى الأمراء والعامة، كما نجد محتسب آخر هو: تقي الدين المقريزي والذي يعتبر عينا من أعيان ولاة الحسبة في العصر المملوكي، كان فقيها وقد مارس عدة وظائف منها: التدريس في مساجد الجامعة وولي القضاء إضافة إلى الخطابة، وقد كان يقوم بالحسبة

[1] - الماوردي، المصدر السابق، ص ص329، 331، 334، 337.
[2] - ابن بسام، المصدر نفسه، ص340.
[3] - موسى لقبال، المرجع السابق، ص27.
[4] - ابن تيمية، المصدر السابق، ص ص 20 ،51.

على وجه أصح، له عدة مؤلفات في التاريخ، أما في مجال الحسبة فله رسالة في الأوزان والأكيال وغيرها .[1]

سادسا: دور المحتسب في مراقبة ورعاية أهل الذمة

I: في اللباس والدين

▪ **اللباس**: يعمل المحتسب على مراقبة أهل الذمة، حيث يؤخذون بلبس الغيار[2]، فإن كان يهوديا عمل على كتفه خيطا أحمر أو أصفر، وإن كان نصرانيا عمل في وسطه زنارا وعلق في عنقه صليبا هذا بالنسبة للرجل، أما المرأة عليها بلبس خفين أحدهما أبيض والآخر أسود، وإذ عبر ذمي إلى الحمام ينبغي أن يكون في عنقه صليب أو طوق من حديد أو نحاس أو رصاص ليختبر به عن غيره،[3] وعلى أهل الذمة أن يظهر وهاته العلامات كي يعرفوا بها ولا يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم وهيئتهم، [4]ويحمل المحتسب على منعهم من التشبه بلباس أهل العلم والقضاء ونحوهم لما في ذلك من التعاظم، كما قال الماوردي ويمنعون من التختم بالذهب والفضة.[5]

▪ **الدين**: يقوم المحتسب بمنع أهل الذمة من الجهر بالتوراة والإنجيل، ومن رفع الصوت على موتاهم،[6] ويمنعون من إسماع المسلمين في قولهم شركا كقولهم الله ثالث لا ثلاثة تعالى عنه علوا وكبيرا، فإظهار قراءتهم للتوراة والإنجيل وشعائرهم فيه مفاسد وإظهار لشعائر الكفر.[7]

وكذلك يمنعون من إظهار صليبهم في عيدهم ببيوتهم لأن نسب الصليب كنصب الصنم هذا في أمصار المسلمين، غير أنهم إن فعلوا في كنائسهم لا يعترض لهم إن كانت قديمة إن أرادوا أن يحدثوا شيئا منها يمنعون من ذلك ولا يتعرض لهم إن ضربوا الناقوس في جوف كنائسهم القديمة، غير أنهم يمنعون من الجهر بها.[8]

II: في الجزية والخمر والخنزير وركوب الخيل وحمل السلاح

أ- في الجزية: على المحتسب أن يأخذ الجزية من أهل الذمة على قدر طبقاتهم، الفقير المقدر بدينار والمتوسط دينارين والغني بأربعة دنانير عند رأس العول وإذ جاءه المحتسب لأخذ الجزية أقام به بين يديه ثم يلطمه بيديه على صفحة عنقه ويقول له: أدي الجزية يا كافر، ليخرج الذمي يده من جيبه مطبوقة على الجزية فيعطيها له بذلة وانكسار، ويشترط مع الجزية التزام أحكام الإسلام، فإن امتنع الذمي من لزوم الأحكام أو قاتل

---

[1] - ابن تيمية، المصدر السابق، ص ص 55، 56

[2] - ينظر الملحق رقم، 03.

[3]- بن بسام، المصدر السابق، ص381.

[4]- الكاساني، المصدر السابق، ص113.

[5]- شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ط1 دار المعرفة، بيروت، لبنان،ج4، 1418ه-1997م، ص34.

[6]- ابن بسام، المصدر السابق ، ص381.

[7]- الشربيني، المصدر نفسه ، ص341.

[8]- الكاساني، المصدر السابق، ص113-114.

المسلمين، فتنقض ذمته، وقتل في الحال وغنم ماله،[1] ويقول الكاساني في أخذ الجزية عن نوع من أهل الذمة فتم وجه فرق بين مشركي العرب فإنه لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وذلك لقوله:﴿ **فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ** ﴾.[2] أما بالنسبة لمشركي العجم من أهل الكتاب فتركوا بالذمة وقبول الجزية.

لا لرغبة فيما يؤخذ منهم أو طمع في ذلك بل الدعوة إلى الإسلام ليخالطوا المسلمين فيتأملوا في محاسن الإسلام وشرائعه، وعن سيدنا عمر رضي الله عنه نجد أنه قام برفع الجزية عند الإسلام والموت، وعند أبي حنيفة رأى أنها لا تسقط حتى يمضي على الذمة سنة كاملة ويؤديها الذمي وتؤخذ منه للسنة المقبلة لا للسنة الماضية.[3]

وعلى المحتسب أن يأخذ بعين الاعتبار إن كان الذمي صبي أو امرأة أو مجنون ومن الأمثلة الدالة على ذلك نجد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أمراء الأجناد أن يضربوا الجزية، ولا يضربوها على النساء والصبيان، ولا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسي، وكذلك لا جزية على عاجز فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، وإنما فرضها عمر رضي الله عنه على الفقير المعتمل لأنه يتمكن من آدائها بالكسب وقواعد الشريعة كلها تقتضي ألا تجب على عاجز كالزكاة والدية والكفارة والخراج[4] بالنسبة للمسلم،[5] ويقول الله عز وجل :﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ**﴾.[6]

ب- في الخمر والخنزير: يعمل المحتسب على المنع من إظهار الخمر والخنزير،[7] وحتى في البيع لا يمكنون منها لأن حرمة الخمر والخنزير ثابتة في حقهم في المسلمين لأنهم مخاطبون بالحرمات،[8] ومن أظهروا خمورهم أريقت وأتلفت.[9]

جـ- في ركوب الخيل وحمل السلاح: يقوم المحتسب بمراقبة أهل الذمة ومنعهم من ركوب الخيل وحمل السلاح والتقلد بالسيف، وإذا ركبوا البغال لا يركبوها بالسرج،[10] ويمنع الذمي الذكر في بلاد المسلمين ركوب الخيل وهذا لقوله تعالى :﴿ **وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ** ﴾[11] أما إذا انفرد ببلده أو قرية في غير دار الإسلام لم يمنعوا وقيل: لواسعتنا بهم في حرب حيث يجوز فالظاهر تمنعهم من ركوبها إلا في زمن القتال،

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ص381-382.
[2] -الآية 05، سورة التوبة.
[3] - الكاساني، المصدر السابق، ص ص 110- 111-112.
[4] - الخراج هو: أجرة الارض وحق من حقوقها حيث وضع بالاجتهاد فإسقاطه كله يعتبر إسقاط الامام أجرة الدار عن المكتري.(انظر ابن قيمة الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص 284).
[5] - ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص150-190.
[6] - الآية 07، سورة الطلاق.
[7] - ابن بسام، المصدر السابق، ص381.
[8] - الكاساني، المصدر السابق ، ص113.
[9] - الشربيني، المصدر السابق، ص341.
[10]- إبن بسام، المصدر السابق، ص381.
[11]- الآية 60، سورة الأنفال.

ويمنعون من حمل السلاح ومن اللجم المزينة بالنقدين كما اشترطها عمر رضي الله عنه.[1]

بناءا على ما سبق ذكره يتبين لنا أن الحسبة هي طلب الأجر من الله لقوله تعالى: "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم وما تأخر كما أنها أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله وهي تعتبر فرض على كل مسلم ومسلمة وهي واجبة لتوفر أدلة قطعية من القرآن والسنة النبوية، حيث تشتمل على مجالات عديدة كونها نظام يشمل كل موضوع أخلاقي واقتصادي وديني وغيرها، وعلى القائم بها عليه أن يتحلى بالعديد من الصفات كالعلم والإسلام والتقوى والصبر من أجل تأدية مهامه على المسلمين وغير المسلمين خاصة أهل الذمة فعلى المحتسب أن يقوم برعاية ومراقبة أهل الذمة بصفة خاصة.

[1]- الشربيني، المصدر السابق، ص339-341.

الفصل الثالث

أوضاع أهل الذمة في المجتمع العباسي

أولاً: الأوضاع الاجتماعية،
ثانيا: الأوضاع الاقتصادية.
ثالثا: الأوضاع السياسية
رابعاً: الأوضاع الدينية.
خامساً: الأوضاع الفكرية و الثقافية.

يعد العصر العباسي من أزهى العصور الإسلامية حيث دام فترة طويلة عاشت فيه العديد من الأجناس مختلفة الأديان نجد من أهمها فئة أهل الذمة حيث كانوا يمارسون مختلف نشاطاتهم في حياتهم اليومية يتعايشون مع الرعايا العباسيين ويتعاملون حتى مع الخلفاء في كثير من المجالات من سياسة وثقافة واقتصاد وهم بدورهم يمثلون جزءا هاما في المجتمع العباسي يؤثرون و يتأثرون بالرغم من اختلافاتهم الدينية.

أولاً: الأوضاع الاجتماعية.

من الظواهر الاجتماعية التي طرأت على الحياة في المدن الكبرى خاصة في بغداد[1]حيث نجد انتشار اليهود والنصارى بأعداد كبيرة في أراضي الخلافة العباسية، فقد قيل أن عدد اليهود قد كان في بغداد وحدها نحو ألف يهودي، وكان فيها في أوائل القرن الرابع الهجري ما بين أربعين وخمسين ألفا من النصارى[2]، وفي هذا بلغ تزايد أعداد الجالية المسيحية أن كان لهم رئيسان يعين كل منهما بعهد خاص من الخليفة أحدهما يطلق عليه اسم الجاثليق النسطوري والثاني بطريق اليعاقبة، أما اليهود فكان لهم رئيس خاص يدفعون له الضرائب، وكذلك نجد توافد المجوس إلى بغداد[3].

من خلال هذا التزايد نجد أن أهل الذمة قد ساهمت في زيادة رعايا المجتمع العباسي بشكل كبير أصبحت جزء ا منه حيث تمتعوا بالحرية والتسامح ولو لم يكن حرية لما تزايدت هذه الوفود الكبيرة.

I: احتفالات أهل الذمة في المجتمع العباسي

مثلما كان العباسيون يحتفلون بأعيادهم كان لأهل الذمة ذلك أيضا، لقد كان النصارى يحتفلون بأعيادهم في الأديرة العديدة المنتشرة في العراق، حيث كان لكل دير عيد خاص يحتفلون به في أوقات معينة من السنة لم يكن النصارى يحتفلون لوحدهم بل حتى المسلمون كانوا يشاركونهم في ذلك [4] وهذه تعد من الروابط الاجتماعية بين المسلمين وأهل الذمة فنجد مثلا: مشاركة المسلمين لأهل الذمة بعيد الشعانين، فتظهر الوصائف في أحد الشعائن بقصر الخلافة ببغداد متزينات في ثياب جميلة، وفي أعناقهم صلبان من الذهب، [5] وهذا دال على

---

[1]- بغداذ: بغداذ وبغذاد وبغدان كلها اسم مدينة السلام وهي كلمة فارسية معناه عطاء صنم، لأن كلمة بغ هي صنم وكلمة داذ بمعنى أعطى، عطية وكرهوا أن يجعلوا للصنم عطاء وقالوا داد، ومن قال دان فمعناه ذل وخضع، وقولهم تبغدد فلان مولد. (أنظر:باسل زيدان محمد غوادره، المعجم الجامع حرف الباء، إشراف : يحي جبر، دم، د ت، د ط، ص 492).

[2] - أمينة بيطار، تارخ العصر العباسي، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ط 4، 1416 هـ- 1417هـ، ص353.

[3] - حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط5، دت، ص 24.

[4] - عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، دط، ج3، 1993م، ص 330- 331.

[5] - إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1989م، ص 252- 253.

أن الخلفاء قد أبدو التسامح ونظيف مثالا آخر، ففي عهد الخليفة المهدي، [1] قد خرج النصارى بالصلبان أيام أعيادهم إتباعا لأمره، نجد أيضا في أيام الرشيد[2] حيث كانوا يخرجون في بغداد يوم عيد الفصح في موكب كبير وبين أيديهم الصليب إلا أنهم يخرجون بلا رايات وكان أهل الذمة يقيمون حفلاتهم بحرية تامة يظهر فيها لهو والطرب[3] ومن بين أبرز الاحتفالات التي كان أهل الذمة يمارسونها في المجتمع العباسي نجد:

- **عيد الغطاس**: وهو من أعياد النصارى في مصر حيث يعتبر من الأعياد العظيمة ففي ليلة العيد يسهر الناس طول الليل ثم يخرجون للغطس فيه ويصطحبون معهم المآكل والمشارب وأواني الذهب والفضة وغيرها، فيشارك المسلمون المسيحيين عيدهم بالغطس في النيل أيضا، لاعتقادهم بأن الغطس فيه أمان لهم من المرض.
- **عيد رأس السنة الميلادية**: وهو اليوم الذي ولد فيه المسيح بن مريم عليه السلام حيث تتخذه النصارى عيدا لهم، ويتخذونه كذلك عيدا لليلة الميلادي[4] ومن بين الأعياد التي شارك فيها المسلمون النصارى أيضا نجد: عيد الفصح وعيد العنصرة، وكذلك القديس اشمونة، أما بالنسبة لأعياد المجوس فقد احتفلت الدولة العباسية ببعضها منها: عيد المهرجان والنوروز[5] من خلال هذا نستنتج أن أوضاع أهل الذمة كانت مستقرة، غير أنهم في بعض الأحيان تشدد عليهم القوانين فيفرض عنهم عدم الجهر بأعيادهم.

II: سكن أهل الذمة.

لقد كان المجتمع العباسي يراعي حرمة منازل الناس فيمنع من النظر من السطوح والشرف إلى منازل الجيران خاصة عند تفاوت ارتفاع المباني عن بعضها البعض، وإذا كان من أهل الذمة من يقطن أحياء المسلمين فيمنع من أن يعلو بيته على بيوت المسلمين لأن حرمتهم أشد من حرمة المسلمين على بعضهم، وهو مشرك فيمكن فيه عدم مراعاة حرمات المسلمين، ويمنع جلوس الرجال والنساء أمام البيوت إذا كان الطريق ضيقا[6].

III: لباس أهل الذمة وزواجهم

---

[1]- المهدي:هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، أمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله الحميري، ولد عام126هـ أو 127هـ ولي الخلافة سنة 158هـ وقد دامت خلافته 10سنوات توفي سنة 169هـ بماسبذان . (ينظر: ابن كثير ، المصدر السابق، ج1، ص ص 15341536).

[2]- الرشيد: وهو أمير المؤمنين بن المهدي بن محمد المهدي بن المنصور ابي جعفر عبد الله ، امه الخيزران كان مولده فيما بين 147ه و148ه بويع له بالخلافة بعد موت أخيه موسى الهادي سنة 170ه، كان من أحسن الناس سيرة وأكثرهم غزوا و حجا، وكان كثير العطاء توفي 193ه.(ينظر ابن كثير، المصدر نفسه، ج1، ص 1562.

[3]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقى، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1421هـ، 2001م، ص.143).

[4] - ناريمان صادق الالشي، الدولة العباسية في عصر المعتضد بالله، رسالة دكتوراه، نوقشت، إشراف :محمد حمدى البناوى قسم الدراسات العليا، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السنة الجامعية1977، م، ص 288.

[5] - إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 253.

[6] - ابن بسام، المصدر السابق، ص 381.

• **لباس أهل الذمة:** لقد وضعت الدولة في بعض الأحيان قيودا مشددة لهم في تحديد نوع اللباس، فنجد في المجتمع العباسي ي أيام المتوكل[1] قد فرض على اليهود المسيحيين أن يرتدوا أزياء تختلف عن أزياء المسلمين [2]حيث يذكر ابن قيم الجوزية أن المتوكل أمرهم بلباس الثياب العسلية، وألا يمكنوا من لباس الثياب لئلا يتشبهوا بالمسلمين وأفرد لهم محتسبين ونجد أيضا أيام الرشيد حيث أمر بتغيير زي أهل الذمة[3].

• **في الزواج:** لقد توطدت العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وأهل الذمة وهذا من خلال زواج المسلم من أهل الكتاب وذلك دون أن تجبر الزوجة على ترك دينها والدخول في الإسلام،[4]ومن الدلائل التي تبين أنه كان هناك علاقات زواج في العصر العباسي نجد مثلا أن خلفاء العصر العباسي الأول كالمهدي والرشيد والمأمون والمعتصم لم يكونوا من أم عربية حرة[5]، ويذكر ابن الجوزية أن الزواج من المرأة الذمية جائز ومن بين أحكامه عن المسلم حتى ولو أنه طلقها فتزوجت ذميا ثم طلقها فهي تحل بعدها للأول هذا لأنه يعتبر زوج وهي امرأة له فيدخل في قوله تعالى :﴿ **فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ** ﴾.[6] فثبوت الحقيقية الزوجية هي الأهم وكفره لا يمنع من هذا.[7]

من خلال ما ذكر سابقا يتبين لنا أن أهل الذمة قد عاشوا في أمن وحرية بممارسة احتفالاتهم، غير أنهم يجب أن يراعوا حرمات المسلمين في السكن والجهر بأعيادهم، ولهم زي خاص بهم، غير أن العلاقات الاجتماعية بين أهل الذمة والعباسيين قد توطدت من خلال ظاهرة الزواج والارتباطات العائلية.

---

[1] - المتوكل: هو جعفر بن محمد بن الرشيد ويكنى بأبا الفضل ، وأمه ام ولد ، ولد سنة 207ه وبويع بالخلافة بعد أخيه الواثق سنة 232ه، قدم المتوكل دمشق في خلافته وابتنى قصرا به ودامت خلافته 14سنة، قتل سنة 247ه،(ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج1، ص ص 1626- 1627).

[2] - علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص144

[3] - ابن قيم الجوزية، المصدر نفسه، ج1، ص ص465- 471.

[4] - إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 253

[5] - عصام الدين عبد الرؤوف الفقى، المرجع السابق، ص.147

[6]- الآية 229، سورة البقرة.

[7] - ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص 639- 640.

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية.

إن الانفتاح الذي عاشته الدولة العباسية وكثرة تواصلها مع مختلف طوائف المجتمع نتج عنها امتزاجا في النشاط الاقتصادي من حرف وتجارة وصناعة مع غيرهم في هذا السياق نذكر فئة تمثل جزءا من المجتمع العباسي ألا وهي فئة أهل الذمة حيث عاشوا بين أفراد المجتمع الإسلامي في أمان واطمئنان ممارسين أعمالهم لكسب قوت عيشهم.

I: التجارة.

لقد كان عدد النصارى أكثر من عدد اليهود حيث اشتغلوا بالتجارة وهذا راجع إلى ما كانوا عليه في صلة وثيقة بالخلافة ورجال الدولة[1]، حيث سيطر اليهود على التجارة بين الشرق والغرب فعرفوا المسلمين باسم يهود الرذوانية لأنهم وافدون من حوض نهر الرون، هذا في الوقت الذي لم يعمل العرب أمر التجارة فأسهموا فيها[2]، وقد كانوا يجنون أرباحا كثيرة ومن بينهم نجد الإخوان المعروفين بأبو سعد إبراهيم وأبو نصر هارون حيث سافرا إلى القاهرة فالتاجر الأول كان يهتم بتجارة التحف أما الثاني كان صيرفيا ودلاّلاً للبضائع التي ترد من العراق[3].

وقد اعتاد أولئك اليهود على سلوك إحدى أهم الطرق التجارية البحرية و التي تنطلق من غرب أوروبا إلى المشرق مارا بمصر وكان هؤلاء اليهود غالبيتهم من جنوب فرنسا، حيث كانوا يتقنون اللغة العربية التي ساعدتهم في القيام بدور الوسطاء في نقل التجارة إلى أسوان وأوربا وكانوا يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق برا وبحرا.

أما أهم المواد التي كانوا يتاجرون بها والتي كانوا يجلبونها من الغرب نجد: الخدم والجواري، الغلمان، الديباج، الجلود، الخزف، السيوف .يأخذونها إلى القلزم ثم يركبون البحر الشرقي إلى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور.[4]

من خلال ما ذكر سابقا نستنتج أن أهل الذمة كانوا يعيشون في أوضاع مستقرة بممارستهم للتجارة حيث ساهموا في ازدهارها وتطورها.

II- الحرف والصنائع.

لقد اشتغل أهل الذمة بالعديد من الحرف والصنائع مثل صناعة المجوهرات وصناعة النسيج وامتهنوا العديد من مهن كالصيرفة وغيرها من مهن وصنائع التي سنحاول إلقاء الضوء عليها على النحو التالي:

1- الطب: لقد اشتهر الكثير من الذميين في مجال الطب في المجتمع العباسي نجد من بينهم جورجيوس بن جبرائيل الذي كان طبيبا في عهد أبي جعفر المنصور حيث وثق به و أكرمه،

---

[1] - عصام الدين عبد الرؤوف الفقى، المرجع السابق، ص147.

[2] - إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص245.

[3] - يوسف درق الله غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط1، مطبعة الفران، 1342ه، 1924م، ص 134، 135.

[4] - حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص 210-211.

ونجد كذلك جبرائيل بن بختيشوع طبيب هارون الرشيد[1] ويذكر كذلك ابن أبي أصيبعة أشهر الأطباء أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الذي لحق أبيه بمعرفته بالعلوم و اشتغاله بها وكان هذا الأخير في خدمة المقتدر بالله والراضي بالله، كما نجد أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة وهذا الأخير كان طبيبا فاضلا وذلك في أيام المقتدر بالله إلى أيام المطيع لله والمستكفي لله، [2] ونظيف كذلك أبرز الأطباء سهل بن سابور النصراني وسلموية الذي عالج المعتصم في مرضه حيث كان يهتم لأمر هذا الطبيب كثيرا فلما توفي امتنع المعتصم عن الطعام وأمر بإحضار جنازته إلى قصره واتبع حتى الرسوم الجنائزية عند المسيحيين. [3]

2- مهنة الصيرفة: لقد ظهر نظام الصيارفة في المجتمع العباسي وكان تحديد ا في عهد المنصور حيث نجد انتشار هذه المهنة في منطقة الكوفة وهي من أعظم المدن شهرة بالصيرفة وأمورها في بداية العصر العباسي كان معظم الصيارفة من أهل الذمة حيث كانوا يتخذون مكانا خاصا بهم في سامراء وكان يطلق على هذا المكان بسوق الجوهريين [4]، كما نجد معظم الصيارفة وأصحاب المصارف في الشام هم أيضا من اليهود [5] و نجد معظم صيارفة العراق أيضا من اليهود، حيث كانوا على علاقة مع رجال الدولة العباسية الذين كانوا يودعونهم دراهمهم.[6]

3- صناعة المجوهرات: لقد اشتغل اليهود بصناعة المجوهرات وتاجروا بها، [7]وقد ازدهرت المدن العباسية بصياغة المعادن الثمينة فالذهب و الفضة والأحجار الكريمة يعتبرون من أهم الخامات التي تستخدم للزينة وكانت منتشرة في الأسواق خاصة سوق بغداد وكان أغلب الصاغة هناك هم من اليهود

4- صناعة النسيج: لقد كانت صناعة النسيج منتشرة في حواضر المجتمع العباسي، والسبب الذي أدى إلى انتشار هذه الصناعة هو لحاجة الناس لها، وكذلك تعاظم طلب الخلفاء ورجال الدولة للملابس الخاصة بهم، ونجد كأبرز مثال على ذلك نجد الخيزران[8] أم الرشيد التي استعانت بنصراني على دار الطرز في الكوفة.[9]

---

[1] - علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص 145.

[2] - موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة يونس السعدي بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ت، ص ص 259.

[3] - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 146.

[4] -حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف، المرجع السابق، ص214.

[5] - علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص 214.

[6] - يوسف درق الله غنيمة، المصدر السابق، ص 135.

[7] - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 147.

[8] - الخيزران : زوجة الخليفة المهدي، فقد كانت صاحبة جود وخيرات حيث تصدقت بالحرمين واشترت دورا بالصفا ألحقته بالحرم الشريف ويعرف بدار الخيزرانة، توفيت سنة 172هـ ودفنت ببغداد .(أنظر : اليعقوبي، المصدر السابق، ج2 ص 342).

[9] - طبي سمير، دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي من 132هـ-447هـ، رسالة ماجستير، نوقشت، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2007م-2008م، ص 113 ، 116.

بناءا على ما تم ذكره يتبين لنا أن أهل الذمة كانوا يمارسون مهنهم و صناعاتهم في أمن واستقرار وكانوا يتواصلون مع الخلفاء العباسيين فاليهود اشتهروا في مجال الحرف والمهن وكذلك النصارى فهم في أغلب الأحيان كان في التجارة معروفين أكثر وهذا راجع إلى الصلة الوثيقة التي كانوا عليها مع الخلفاء.

ثالثا: الأوضاع السياسية

I: وظائف أهل الذمة في شؤون ملتهم

لقد تولى أهل الذمة في المجتمع العباسي مراكز سياسية هامة حيث شكلوا عنصرا هاما في المجتمع، وذلك راجع إلى معاملة الخلفاء ورجال الدولة لهم، الت كانت تنم عن عدل وتسامح وكرم.[1]

كما نستطيع أن نستشهد بعدة أمثلة وذلك أن أهل الذمة لهم الحق في مباشرة شؤونهم فقد كان لليهود رئيس خاص بهم يلقب أحيانا بالملك أما بالنسبة في بغداد يطلق عليه رأس الجالوت الذي يباشر شؤون أبناء ملته أما بالنسبة للمسيحيين كان يطلق على رئيسهم اسم الجاثليق.[2]

ونذكر أشهر الذين تولوا شؤون اليهود في هذا المنصب دانيال بن حسدان الذي كان قاضيا، حيث سيطر هذا الأخير على اليهود في البلاد الخاضعة الخلافة فيقوم بجمع الضرائب فيأخذ النصف والآخر لبيت المال، أما بالنسبة للمسيحيين فقد كانوا يدفعونها مباشرة دون وسيط إلى بيت المال، كما أن أهل الذمة كانوا يمارسون وظائف في الدواوين وتولوا أحيانا أرفع المناصب ومن خلالها كسبوا ثروات ضخمة وأموال طائلة. [3]

II : وظائف أهل الذمة في المجتمع العباسي.

لقد شغل أهل الذمة وظائف سياسية هامة فقد كان وضعهم متغير ففي بعض عهود الخلفاء كان يسير في حالة حسنة وبعضها كان في حالة سيئة نذكر منها:

1- **عهد المهدي:**(158ه-168ه) قويت شوكتهم فنذكر قصة تدل على ذلك فقد اجتمع المسلمون إلى بعض الى بعض الصالحين وسألوه أن يخبره عن ظلم أهل الذمة لهم، حيث استقصى المهدي عن الخبر بنفسه فعلم بظلمهم للمسلمين، فأمر هذا الأخير عدم ترك عمال من أهل الذمة في مباشرة أعمالهم وإن علم أن المسلمين استخدموا أحد كتاب أهل الذمة فجزاه العقاب.[4]

---

[1] - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص142.
[2] - أمينة بيطار، المرجع السابق، ص354.
[3] - علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص ص 215، 147.
[4] - إبن قيم الجوزية، المصدر السابق، ج2، ص 462-463

2- عهد المأمون[1]:(197ه- 218ه) لقد قام هذا الأخير بصرف أهل الذمة عن أعمالهم حينما وصله الخبر عن كثرة سعايا النصارى وتظلم المسلمون منهم، وخيانتهم للسلطان حيث قام بسجن ألفين وثمان مئة ونفي جماعة من اليهود منحازين إلى بعض جهاته، ونهى عن اتخاذ أهل الذمة كأولياء[2]

طبقا لقوله تعالى:﴿ "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ "﴾.[3]

3-عهد المعتصم: (218ه-226ه) لقد كان للمعتصم وزراء من النصارى فنجد الفضل بن مروان ماسرخس حيث كان حسن الخط، وقد استخلف بيحيي الجرمقاني حينما توفي وقد كان الفضل بن مروان ينفذ أمور المعتصم وبكتب على لسانه وهو الذي قام ببيعة المعتصم عند وفاة أخيه المأمون ببغداد وضبط الأمور حتى قدم المعتصم وكان معروف بالاجتهاد.

4- عهد المتوكل: (232ه-246ه) كان المتوكل[4] ينفر من استعمال أهل الذمة [5] حيث سار على نهج الخلفاء المذكورين سابقا فقد قام بصرف أهل الذمة عن الأعمال التي كانت تسند لهم في جميع النواحي، بعد معرفته لخيانتهم، وذلك من خلال أنهم عملوا بأسماء مسلمين، وقد قام بفرد محتسبين عليهم يراقبوهم.[6]

5-عهد المقتدر: (295ه-319ه) كما نجد هذا الأخير الذي سار على أثر المتوكل فأغلظ بمعاملة أهل الذمة و شدد عنهم القوانين، وذلك بسبب الظلم الممارس من طرف أهل الذمة فنذكر مثالا عن ذلك وهو: أن يهوديا كان ببغداد يدعى أبو سعد بن سمحة وهو وكيل للسلطان جلال الدولة ولنظام الملك، فلقيه إنسان يبيع الحصير فصفعه فأخذ الرجل إلى الديوان، وسأل عن السبب فقال: هو وضعي على نفسه، فسار ومعه ابن سمحة إلى العسكر يشكيان متفقين على الشكاية، فلما سارا خرج توقيع الخليفة المقتدر[7] بأمر التشديد على أهل الذمة فقد عزل هذا الأخير سنة 484هـ.[8]

---

[1] - المأمون:هو بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي أبو جعفر، ولد عام 170ه كان في عهده جهل وتشيع بالسنة الصحيحة، كان له بصيرة بعلوم كثيرة منها بالفقه والطب والشعر وعلم النجوم وغيرها، وفي خلافته حدثت الفتنة بالقول بخلق القرآن الكريم وتوفي عن عمر يناهز 48سنة .(أنظر : إبن قيم الجوزية، المصدر السابق، ج 1ص 465).

[2] - ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ص 465،467 .

[3] - الاية 144، سورة النساء.

[4] - المتوكل:جعفر بن محمد هارون الرشيد أبو الفضل، ولد ببغداد سنة206ه بويع عام 232ه كان العمران ومن أهم أعماله نقله لمقر الخلافة من بغداد إلى دمشق وأقام بها ثم أقام بسامراء حيث اغتيل بها سنة 247ه .(أنظر: اليعقوبي المصدر السابق، ج2، ص464).

[5]- محمد الخضري بك، الدولة العباسية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1424هـ، ص ص 215، 249.

[6] - ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص 471.

[7] - المقتدر: هو جعفر بن المعتضد ويكنى أبا الفضل وأمه أم ولد يقال لها شغف أدركت خلافتهم وسميت السيدة ، ولد سنة 182ه، بويع من طرف المكتفي بعد وفاته سنة 195ه، كان سخيا جوادا وكان يصرف إلى الحرمين.(ينظر: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط1، تح: محمد عبد القادر عطاء ومصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412ه-1996م، ج3، ص ص 59-60-63).

[8] - يوسف درق الله غنيمة، المصدر السابق، ص 221- 222.

تأسيسا على ما تم ذكره نستخلص أن أوضاع أهل الذمة السياسية في العصر العباسي في حال تغير دائم وهذه التغيرات راجعة إلى طبيعة الظروف والأوضاع التي كانوا عليها.

رابعاً: الأوضاع الدينية.

I : الخلفاء العباسيين وأهل الذمة.

لقد تمتع أهل الذمة بالحرية الدينية، إلا أن الخلفاء العباسيين كانوا يرغبونهم في اعتناق الإسلام، ومن بين الخلفاء نجد المأمون الذي عمل على ترغيب الذميين في الإسلام غير أنه لا يرضى عن اعتناق أحدهم بشرط الاقتناع، وقد كان لهاته السياسة الرشيدة أثر بالغ في أهل الذمة حيث أقبلوا على اعتناق دين الإسلام[1]، لكن لا ننكر أن هناك من كان يسلم ابتغاء نيل الجاه والمناصب العليا وهنا نبرز مثال على ذلك وهو أن الفضل بن سهل المجوسي الذي نقل ليحي بن خالد البرمكي كتاب من الفارسية إلى العربية فأعجب به يحي وعرض عليه الإسلام بهدف إدخاله في أمور المسلمين فأسلم وكان هذا خلال فترة حكم المأمون وصار هذا المجوسي وزيرا له، ومثال آخر وهو أن بعض الناس كانوا يسلمون للفرار من أداء الجزية المفروضة عليهم [2]غير أن سلوك الحكام المسلمين في الغالب كان أحسن من القانون المفروض عليهم. [3]

والدليل على ذلك نجد أن بغداد امتلأت بكثير من الأديرة وأشهرها دير العذارى، وكذلك دير درمايس حيث يقصده الناس للنزهة، وقد كثر استحداث الكنائس وبيوت العبادة في المدن العربية الخالصة ففي زمن خلافة المأمون أعيد ترميم الديارات في واد النطرون، وقام بعض حجاب المأمون بإعادة كنيسة العذراء بناحية القنطرة، ونذكر مثالا آخر وهو أن مسيحيان استطاعا الحصول على إذن يسمح لهم ببناء كنيسة وهذا لبعد الكنائس الأخرى.[4]

كما يمكننا أن نستشهد بمثال آخر ففي عهد الخليفة المهدي الذي أبدى تسامحه وذلك يظهر من خلال موافقته على تشييد كنيسة للنصارى في محلة الروم بالجانب الشرقي من بغداد، وتقضي القاعدة الفقهية بترك البيع والكنائس والسماح لهم بإقامة احتفالاتهم الدينية بحرية تامة [5]غير أن معاملة المهدي لهم تغيرت وهذا راجع لسبب ظهور بعض الخيانات من قبل أهل الذمة ففرضت عليهم قوانين صارمة، ونجد أبرز مثال على ذلك في عهده إذ ذكر ابن القيم الجوزية أنهم كانوا يمنعون من دخول المساجد حيث كان للمهدي كاتب نصراني بالبصرة فظلم الناس في معاملته لهم ويظهر ذلك من خلال الواقعة التي حدثت مع مجموعة قد ظلمهم، فحمل كتابا له واتجه مع جماعة من النصارى إلى المسجد فوجدوا القاضي سوار [6]جالسا

---

[1] - علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص142.

[2] - أحمد أمين، ضحى الإسلام مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط، دت، ص 227- 228.

[3] - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 148.

[4] - علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص 148.

[5] - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 143.

[6] - سوار : هو أبو عبدالله العنبري، قاضي وله علم بالفقه والحديث سكن بغداد وولي بها قضاء الرصافة، وافته المنية عام 345ه.(ينظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص 326).

للحكم بين المسلمين فدخل المسجد وتحاوز الموضع الذي كان يجب الوقوف عنده فمنعه الخدم غير أنه لم يبالي بذلك فوضعه بين يديه ولم يقرأه فسأله القاضي إن كان نصرانيا فأجبه بنعم، فأمر القاضي بجره من رجله إلى باب المسجد فأدبه على فعلته.[1]

وكذلك في عهد المتوكل الذي أمر بهدم يعض الكنائس المنشأة بعد الإسلام ونهاهم عن تولي الوظائف ومنعهم من إظهار شعائرهم الدينية من صلبان وجعل على أبوابهم صور شياطين من خشب،[2] وقام كذلك بفرد محتسبين يراقبوهم مراقبة خاصة بعد أن خانوه على أنهم مسلمين وكشفه لسعاياهم.[3]

أما في أواخر الحكم العباسي نجد أن وضع أهل الذمة في الجانب الديني قد تغير وهذا ظاهر من خلال الجرأة التي كانوا يتحلون بها والمال الوفير اللذان مكناهم من محاولتهم رشوة نائب حاكم إربل[4] وذلك عام 562هـ مقابل بناء جامع بصيدا[5] بعيدا عن كنيستهم. [6]

II- أهل الذمة و تأثرهم بالإسلام

لقد تأثر النصارى بالمسلمين وذلك من خلال ظهور نزاعات يظهر فيها أثر للإسلام، حيث ظهرت حركة تدعو لإنكار الاعتراف أمام القس وليس للقس حق في ذلك ورأوا من الواجب أن يتوجهوا لله معتبرين أنه هو الذي يغفر الذنوب، وهذا وجه بارز عند المسلمين، وهناك دليل آخر على تأثرهم بالإسلام وذلك من خلال دعوتهم لتحطيم الصور والتماثيل الدينية في القرن الثالث والرابع للهجرة حيث ظهر مذهب نصراني ينكر تقديس التماثيل والصور وهذا الأمر متجلي في الإسلام الذي يقر بكراهيته للصور و التماثيل [7]والدليل على ذلك نجده في قوله عز و جل :﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ٥٢ ﴾.[8]

يتبين لنا من خلال ما سبق ذكره أن الأوضاع الدينية لأهل الذمة متغيرة كثيرا، فأحيانًا يحظون بحرية تامة أكثر من اللزوم وأحيانا تطبق عليهم القوانين التي بالضرورة أن يلتزموا بها وهذا كله تتحكم فيه عدة ظروف أحيانا حسب الحكام وحين آخر يرجع إلى خيانتهم للخلفاء وحينا آخر راجع إليهم وذلك من خلال تقصيرهم في أداء واجباتهم اتجاه الدولة العباسية.

خامساً: الأوضاع الفكرية و الثقافية.

---

[1] - ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص 463- 464.

[2] - إبراهيم أيوب، المرجع السابق، ص 252.

[3] - إبن قيم الجوزية، المصدر السابق، ص 471.

[4] - اربل: بالكسر ثم السكون، وباء موحدة مكسورة، والربل ضرب من الشجر، والربال النبات الكثير، واربل قلعة حصينة بها خندق عميق ومدينة كبيرة أكثر أهلها أكراد مستعربين.(ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دط، ج1، دار صادر، بيروت، 1397هـ- 1977م، ص ص 139-140) .

5- بصيدا: بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، وداء مهملة مقصورة، من قرى بغداد.(ينظر ياقوت بن عبد الله الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص 346).

6 - سامي بن خماس الصقار، أمارة إربل في العصر العباسي ومؤرخها إبن المستوفي، د ط، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، 1413هـ، 1996م، ص 177.

7 - أحمد أمين، المرجع السابق، ص 328- 329.

8 -الآية 52، سورة الأنبياء.

لقد برع أهل الذمة في المجتمع العباسي في العديد من المجالات الفكرية و درسوا شتى العلوم ومدوا الخلافة العباسية بالكثير من المعارف التي تختص بالطب والأدب و الترجمة وغيرها نذكر منها:

- **الأدب**: لم يقتصر اشتهار أهل الذمة في الطب وإنما نجدهم في ميدان الأدب والفنون والدليل عن هذا نجد أن كثيرا منهم من درسوا على أيدي مدرسين مسلمين من بينهم نجد حنين بن إسحاق [1] الذي درس على يد الخليل بن أحمد وقد أصبح حجة في العربية، كما نجد ثابت بن قرة الذي درس على يد محمد بن موسى الذي قدمه إلى الخليفة المعتضد العباسي [2]، ومن الذين اشتهروا أيضا في هذا الجانب خلال عهد المقتدي بأمر الله ونجد أيضا ابن جزلة حيث كان له نظر في علم الأدب وكان يكتب خطا جيدا و تصانيفه تدل فضله ومعرفته وكان له كتاب الإشارة في تلخيص العبارة [3] ومن كتبه أيضا يذكر إبن خلكان كتاب بعنوان منهاج البيان في ما استعمله الإنسان وقد رتبه على الحروف وجمع فيه أسماء الحشائش، وتلقى صاحب الكتب علومه على يد أبي علي بن الوليد المعتزلي الذي كان سببا في إسلام ابن جزلة وقد حسن إسلامه.[4]
- **الترجمة**: لقد ساهم أهل الذمة في ازدهار الحركة العلمية في المجتمع العباسي وذلك من خلال ترجمتهم للكتب ونقلها من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وكذلك استعانة الخلفاء العباسيين بأهل الذمة في حركة الترجمة مقدرين ومراعين جهودهم ومنحهم رواتب جزيلة [5]، ومن بين أهم من ساهموا في الترجمة من أهل الذمة نجد جورجيوس بن جبرائيل حيث نقل كتب كثيرة من اللغة اليونانية إلى العربية وهذا كان عهد أبي جعفر المنصور وقد أعطاه أموالا جزيلة تقديرا لجهوده، ونجد أيضا في عهد الرشيد يوحنا بن ماسوية الذي قام بترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقرة و عمورية وسائر بلاد الروم إتباعا لأوامر الرشيد حيث قام هذا الأخير بوضعه أمين على الترجمة وقد خدم هذا الأخير عهد الأمين والمأمون، ومن الذين ساهموا في حركة الترجمة نجد حنين بن إسحاق العبادي حيث كان ملازما ليوحنا بن ماسوية حيث قام بنقل كتب كثيرة له وخاصة من كتب جالينوس إلى اللغة السريانية والفارسية، وقد أتقن العربية وكان هذا في أيام المأمون فخدمه من خلال ترجمته الكتب من اليونانية إلى العربية وقد كافأه ذهبا بقدر ما نقله إلى العربية. [6]

---

[1] - حنين بن إسحاق : هو أبرز يد حنين بن إسحاق العبادي بفتح العين وتخفيف الباء والعباد بالفتح قبائل شتى من بطون العرب كان فصيح اللسان وبارع في الشعر حيث درسه الخليل بن أحمد وكان يتقن اللغات اليونانية والسريانية والفارسية .(أنظر :إبن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ص 205 207).

[2] - علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، 146.

[3] - إبن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 300.

[4] - أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دط، تح: إحسان بن عباس، دار صادر، بيروت، ج6، دت، ص267.

[5] - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص 144.

[6] - ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ص 139، 195، 207، 208.

• **الهندسة**: لقد برع أهل الذمة في مجال الهندسة ومن بين أبرز علمائها نجد أبو الحسن ثابت بن قرة الصابي، [1]حيث ذكر له عدة مؤلفات بعضها تطوير لآراء قديمة مثل تطوير نظرية فيثاغورس، ومن أهم كتبه نجد المختصر في الهندسة وكذلك رسالة في استخراج المسائل الهندسية، كما صنف كتاب إصلاح كتاب إقليدس و أيضا كتاب في مساحة الأشكال المسطحة وسائر البسط والأشكال وكذلك مقالة في الهندسة وغيرها.

• **الموسيقى**: لقد اهتم المجتمع العباسي بفن الموسيقى حيث برز فيه من يهتم بمجال الموسيقى في عهد الخليفة المقتدر نجد منهم ثابت بن قرة الصابي الذي لم يقتصر اهتمامه بمجال الهندسة الذي ذكر سابقا فألف عدة كتب أهمها آلة الزمر وكتاب الموسيقى. [2]

نستنتج أن أهل الذمة قد كانت لهم مكانة خاصة حيث تمتعوا بالحرية في المجال الفكري والثقافي بالدولة العباسية وهذا راجع إلى الأوضاع المستقرة التي كانوا يعيشونها .

من خلال دراستنا لهذا الفصل يتبين لنا أن أوضاع أهل الذمة في المجتمع العباسي كانت متغيرة ومتقلبة سواء اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية فتارة تكون أوضاعهم مستقرة ويعيشون في حرية تامة أكثر من اللازم ولا تطبق عليهم القوانين المفروضة وتارة أخرى تشدد هذه القوانين و تطبق كما يلزم وهذا كله راجع إلى الظروف التي كانوا يعيشونها مثل طريقة تواصلهم مع الخلفاء والرعية مثلما ذكرنا سابقا.

---

[1]- ثابت بن قرة الصابي : هو ابن مروان بن ثابت بن كرايا بن إبراهيم بن كرايا بن مارينوس بن سالايونوس، كان صيرفيا بحران كان في زمانه ليس له مثيل في مجال الطب وكذلك في الفلسفة والعلوم وكان قوي المعرفة باللغة السريانية .(أنظر : ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص253).

[2] - ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 257 258.

الخاتمة

بناءً على ما ذكرنا سابقا في هذا الموضوع توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- انقسام أهل الذمة الذين كانوا يعيشون في دار الإسلام إلى عدة طوائف دينية مختلفة من يهود ونصارى وصابئة.
- ينظر الإسلام لأهل الذمة نظرة تسامح و احترام لأديانهم وترك لهم الحرية الدينية بناء على مبدأ عظيم في الإسلام لا إكراه في الدين.
- لقد حظي أهل الذمة بمكانة هامة و يتجلى ذلك في احتلالهم لمراكز مهمة في الدولة.
- لكل فئة من فئات المجتمع الإسلامي نظم تتبعها، فأهل الذمة مثلا لهم حقوق كالحماية والأمن و الحرية في ممارسة أعمالهم غير أن هناك قوانين يجب أن يتقيدوا بها وواجبات يؤدونها كالجزية والتقيد بأحكام الإسلام وغيرها.
- لقد حظي أهل الذمة بالحرية والعدل خلال عهد الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم وقد بقوا على هذه الحال إلى العصر الأموي مع وجود بعض التغيرات التي طرأت عنهم.
- ساهمت الحسبة كنظام إسلامي يهدف إلى بناء مجتمع سليم ومتزن يحمي جميع شرائحه وفئاته بمختلف عرقياته و أديانه.
- إضافة إلى المهام المختلفة و المتنوعة التي يتمتع بها المحتسب كمراقبة الأسواق و إنكار ومكافحة مختلف الآفات و المظاهر اللاأخلاقية في المجتمع وكذا انتشار بعض الأفكار والعقائد المنحرفة فيه ، كما أنّه يساهم في تسيير شؤون الحياة.
- على المحتسب أيضا أن يراقب كل فئات المجتمع مسلمين وذميين وهذه الفئة الأخيرة لها رقابة خاصة في بعض الأمور كلباسهم شعائرهم الدينية والجزية المفروضة عليهم و غيرها من الأحكام التي يتقيدوا بها.

- لقد كانت أوضاع أهل الذمة في المجتمع العباسي تسير في حرية ويتجلى ذلك من خلال تزايد عددهم في أراضي الخلافة العباسية حيث إعتبرتهم رعية من رعاياها حيث شكلوا عنصرا هاما في تطوير الاقتصاد وهذا كله راجع إلى الحرية التي كانوا ينعمون بها في ممارسة شتى أعمالهم ،كما احتلوا مناصب هامة غير أن أوضاعهم كانت متغيرة وذلك بفعل تغير الظروف.
- قيام الخلفاء العباسيين بترغيب أهل الذمة في الإسلام و عاملوهم معاملة حسنة غير أن هاته المعاملة لم تكن دائمة حيث ظهرت بعض الخيانات من قبلهم فشددوا عليهم القوانين فهدمت كنائسهم ومنعوا من المجاهرة بشعائر دينهم.
- لقد شكل أهل الذمة حلقة وصل هامة بين الحضارات القديمة والمجاورة والحضارة الإسلامية وذلك من خلال عملية النقل و الترجمة للعديد من العلوم وبهذا احتلوا مكانة في مجال الثقافة.

نتائج الدراسة:

1. تعتبر فئة أهل الذمة رعية من رعايا المجتمع الإسلامي بكافة أصنافهم من يهود ونصارى وصابئة حيث ضمنوا حقوقهم مقابل أدائهم للجزية تقيدا بأحكام الإسلام الذي كان ينظر لهم نظرة إكرام وتسامح وعدل وأمن وحرية وكل هذه المعاملات كانت سببا في اعتناق الكثيرين للإسلام.
2. تعايش الذميون في المجتمع الإسلامي مع المسلمين واختلفت أوضاعهم في كنف حكامه ومراحل حكمهم, فمثلا في عهد الخلفاء الراشدين ساروا على نهج وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث تمتعوا بكامل حقوقهم إلى أواخر العصر الأموي فطرأت عنها بعض التغيرات وذلك بفعل تغير الظروف التي كانت سائدة.
3. يعد نظام الحسبة من الأنظمة المهمة التي تخدم المجتمع الإسلامي وتدفعهم لتحقيق أهدافهم وتسيير شؤونهم كونها مستمدة من تعاليم الشريعة الإسلامية الحنيفة في مختلف مهامها حيث لم تبق مقتصرة على الجانب الديني وإنما تعدته إلى جوانب مختلفة إدارية ثقافية وسياسية واقتصادية وغيرها.
4. ترتكز الحسبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لبناء مجتمع إسلامي يسوده الأمن والنظام فهي واجبة على كل مسلم مكلف قادر أما مشروعيتها فاختلف فيها هناك من يقول فرض عين ورأي آخر يقول أنها فرض كفاية.
5. ظهرت الحسبة في بداية نشأتها كممارسة في مختلف جوانب الحياة غير أنها لم تظهر كمصطلح شائع حيث كانت تطبق في مختلف مراحل الحكم الإسلامي ففي عهد الخلفاء الراشدين نلاحظ أنهم انتهجوا خطى الرسول صلى الله عليه وسلم في ممارستها.
6. بما أن الحسبة واجبة على كل مسلم ومسلمة إلا أنه ظهر أفراد مختصين بهذا النظام يتحلون بآداب تميزهم عن غيرهم من علم وصبر ورفق وغيرها, إضافة إلى شروط تتوفر فيهم من تكليف وإسلام وإيمان وغيرها, وكل هذا يساعده في أداء مهامه على أكمل وجه.
7. لعب المحتسب دور كبير في حياة أهل الذمة حيث كانت مهامه مختلفة الجوانب فمثلا نجد أنهم كانت له رقابة خاصة عليهم في لباسهم وممارسة شعائرهم الدينية وتأدية الجزية وغيرها.
8. إن العصر العباسي من أزهى العصور الإسلامية عرف العديد من الأجناس من بينهم أهل الذمة بالرغم من اختلافهم الديني إلا أنهم كانوا يتعايشون معا في شتى جوانب الحياة, حيث كان للحرية دور كبير في الجانب الاجتماعي مما أدى إلى انتشارهم انتشارا واسعا ذلك من خلال ممارستهم لشعائرهم إلا أنهم يجب أن يراعوا حرمات المسلمين في السكن والجهر بأعيادهم والالتزام باللباس المفروض عليهم غير أن العلاقات فيما بينها توسعت وذلك من خلال الزواج.
9. نظرا للأمن والاستقرار الذي عرفوه أهل الذمة ساعد في تسهيل ممارستهم للاقتصاد بمختلف مجالاته منها التجارة والحرف والصنائع التي عرفت انتعاشا كبيرا, وبفضل الصلة

التي كانت تجمعهم مع الخلفاء العباسيين حظوا بمراكز مختلفة في عهدهم, إلا أنهم عاشوا أوضاع متغيرة حسب ظروف كل فترة حكم.

10. إن الوضع الديني الذي عاشوه كان متغيرا فأحيانا كان هناك تساهل في تطبيق الأحكام الواجبة عليهم وأحيانا أخرى بالتشديد عليهم وذلك بفعل الظروف التي كانت آنذاك.

11. نظرا للتبادل الثقافي والفكري الذي كان قائما بين العباسيين والذميين من طب وترجمة وغيرها مكن الذميين من ممارسة هذه العلوم بحرية.

ملحق رقم: 01 مخطوطة مطبوعة لابن الاخوة نبين فيها طريقة دفع الجزية المفروضة على أهل الذمة [1]

[1] محمد بن محمد بن الأخوة ، الحسبة، الصفحة 12 من المخطوط.

ملحق رقم:02مخطوطة توضح حكم الحسبة في شرب الخمر على المسلم وغير المسلم[2]

[2] محمد بن محمد بن الأخوة ، الحسبة، الصفحة 10 من المخطوط.

ملحق رقم 03: يدل مخطوطة توضح منع ركوب الخيل لأهل الذمة في أمصار المسلمين [3]

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

I. المصادر

[3] محمد بن محمد بن الأخوة ، الحسبة، الصفحة 13 من المخطوط.

1. بن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة يونس السعدي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ت.
2. ابن بسام محمد بن أحمد، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424ه2002م.
3. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
4. ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد (ت599ه)، المنتظم في تاريخ الملوك الأمم، تح: محمد عبد القادر عطاء ومصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1412ه- 1996م، ط1، ج13.
5. بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري(ت547ه)، الفصل في الملك والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت، ج1.
6. الحموي ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، دط، 1397هـ 1977م، ج1.
7. بن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت681ه)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان بن عباس، دار صادر، بيروت، د ت، ج6.
8. الذهبي شمس الدين(ت748ه)، سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م، ج1.
9. الرازي فخر الدين، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ط، 1356ه، 1938م.
10.الشافعي أبو حسن علي بن محمد بن الدريهم المصري(ت762ه) ، منهج الصواب في قبح أهل الكتاب، تحقيق: سيد كسروي، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422، 2002.
11.الشربيني شمس الدين محمد بن الخطيب (ت676ه)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1418ه-1997م، ج4.
12.الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد(ت548ه) ، الملل والنحل، تح : أمير علي مهنة ، علي حسن عودة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج1.
13.الشيرازي، عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: السيد الباز العريني ، القاهرة، مطبعة نجمة التأليف والترجمة، 1946.
14.الشيرازى الفيروز آبادى، دار إحياء التراث، 1417ه، 1997م، ج2.
15.الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979.
16.الكاساني علاء الدين أبي بكر بن مسعود (ت587ه)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406ه، 1986م، ج7 .
17.ابن كثير القرشي(ت774ه)، البداية والنهاية، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م ج1.

18.الغزالي أبي حامد بن محمد ، إحياء علوم الدين، مكتبة كرياط فوترا سماراغ، أندونيسيا، دط، دت. ج2
19.غنيمة يوسف درق الله ، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مطبعة الفران، ط1، 1342ه، 1924م.
20.الفراء أبو يعلى، الأحكام السلطانة، شركة مكتبة أحمد بن سعد بن نيهانسرو بابا، دار الفكر، بيروت، ط2، 1384ه.
21.القزويني أبي عبدا لله بن يزيد ، سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار إحياء الكتب العربية، د ط، دت، ج2.
22.ابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر(ت751ه)، أحكام أهل الذمة، تح، أبي براء يوسف بن أحمد البكري، أبي أحمد شاكر بن توفيق العاروي، رمادة للنشر، المملكة العربية السعودية، 1997 م ، ج1.
23. الماوردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت450ه)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، ط1، دار إبن قتيبة، الكويت، 1409، 1989.
24. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، بيروت، د.ط، د.ت، ج12.
25. ابن النحاس، تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير.من أفعال المالكين، تحقيق: عماد الدين عباس سفير، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
26. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733ه)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميعة، د.ط، د.ت، ج8.
27. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنة، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج2 .
- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الجزية والموادعة، الفصل 11، د.ط، د.ت، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2.
- البخاري محمد بن إسماعيل بن عبد الله ، التاريخ الأوسط، ، تح: محمود زايد، دار الوعي، مكتبة التراث، حلب، طبعة-1397- ه1977م، ج2.
- الترمذي محمد بن عيسى بن سودة، صحيح الترمذي، كتاب الديات عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- باب من قتل نفسا معاهدا، شرح ابن العربي المالكي، ط1، المطبعة المصرية بالأزهر، 1941ه، ج2.
- الترمذي محمد بن عيسى بن سودة ، الجامع الصحيح، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت 8/174،ج4.
- أبي داود سليمان بن الأشعث الازدي السجستاني، سنن أبي داود، تح شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قربولي، كتاب الجنائز، باب القيام بالجنازة، دار الرسالة العالمية، ج5.
- النيسابوري أبي حسن مسلم بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم كتاب الإيمان باب البيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، دار السلام، القاهرة، د ط، 1416هـ - 1996م،ج1.

II.المراجع:

1. أمين أحمد ، ضحى الإسلام مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط، دت.

2. أيوب إبراهيم ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1، 1989م.

3. بيطار أمينة، تارخ العصر العباسي، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ط4، 1416هـ-1417هـ.

4. الجوادي خيري شيت شكر ، مشاورة أهل الذمة دراسة تاريخية فقهية عامة، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، م11، العدد 1، 29- 06-2011.

5. حضيري ناجي بن حسن بن صالح، الحسبة النظرية والعملية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الفضيلة الرياض، السعودية، ط1، 1425 ه، 2005م.

6. الخربوطلي علي حسن، الإسلام وأهل الذمة، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، القاهرة، د.ط، 1389-1969.

7. الخضري بك محمد ، الدولة العباسية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1424هـ .

8. الدهبى إدوار غالى، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط1، مكتبة غريب، د.م، 1993م.

9. سالم عبد العزيز ، دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول،، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، دط، 1993م، ج3.

10. السنامي عمر بن عوض ، نصاب الإحتساب، تح: مريزن سعيد مريزن عسيرة، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزية، دط، 1405ه، 1406ه.

11. الصقار سامي بن خماس ، أمارة إربل في العصر العباسي ومؤرخها إبن المستوفي، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، دط، 1413هـ، 1996م.

12. عبد السلام العابدي، الملكية في الشريعة الإسلامية، مكتبة الأقصى، دط، د ت، ج2.

13. الفقى عصام الدين عبد الرؤوف، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1421هـ، 2001م.

14. القرضاوي يوسف، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة الوهبة، القاهرة، ط3، 1413هـ- 1992م.

15. كمال الدين محمد، أصول الحسبة في الإسلام، الإسكندرية، نشأة المعارف، د ط، 1986م.

16. لقبال موسى، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1971.

17. مبارك محمد، الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة، ط2، دار الفكر، بيروت، 1980م.

18. محمود حسن أحمد، الشريف أحمد إبراهيم، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط5، د ت.

19. منصور أحمد صبحى، الحسبة دراسة أصولية تاريخية، مركز المحروسة، ط1، 1995م.

III. الرسائل والأطروحات

- ابن مرشد عبد العزيز بن محمد، نظام الحسبة في الإسلام، رسال ماجستير، نوقشت جامعة الأمير محمد بن مسعود الإسلامية، الرياض، مطبعة المدينة، 1393ه.
- سعيد علي شبلان، دعوى الحسبة في الفقه الإسلامي، مقارنة بالنظم المناظرة رسالة دكتوراه، نوقشت الرياض، 1418ه، 1992م.
- طبي سمير، دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي من 132هـ-447هـ، رسالة ماجستير، نوقشت جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2007م-2008م.
- ناريمان صادق الالشي، الدولة العباسية في عصر المعتضد بالله، رسالة دكتوراه، إشراف :محمد حمدى البناوى قسم الدراسات العليا، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السنة الجامعية1977، م.
- فهد محمد علي المسعود، حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية وحمايتها الجزائية وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، كلية الدراسات العليا، قسم العدالة الجنائية، رسالة ماجستير، نوقشت سنة2003م تخصص التشريع الإسلامي، الرياض، 1424ه-2003م.

فهرس السور

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾	الآية 07، سورة الطلاق.	47
﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾	الآية: 05، سورة التوبة،	06
:﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ٥٢ ﴾	الآية: 52، سورة آل عمران.	07
:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾	الآية 171، سورة النساء.	09
﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾.	الآية 72، سورة المائدة.	10
:﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾.	الآية، 73، سورة المائدة.	10
:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾	الآية 62، سورة البقرة.	11
:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾	الآية 13، سورة الممتحنة.	12
:﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ٩٨﴾	الآية 98، سورة البقرة.	13
﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ ﴾	الآية: 111، سورة آل عمران	13
:﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	الآية 112، سورة آل عمران.	13
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ ﴾	الآية 144، سورة النساء.	13
:﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾	الآية51، سورة المائدة.	13
:﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ٢٩ ﴾	الآية 29، سورة التوبة.	13
:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾	الآية 59، سورة النساء.	13
:﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾	الآية 68-69، سورة الحج.	14
:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾	الآية 256، سورة البقرة.	15
﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾	الآية 29، سورة الكهف.	15
﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾	الآية 46، سورة العنكبوت.	16
:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾	الآية 256، سورة البقرة.	16
:﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ٨ ﴾	الآية 08، سورة الممتحنة.	18

18	الآية57، سورة المائدة.	:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ٥٧ ﴾
24	الآية 03، سورة الطلاق.	:﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾،
30-42	الآية 71، سورة التوبة.	﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۘ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾
31	الآية 02، سورة المائدة	﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾
31	الآية 104، سورة آل عمران.	:﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى الۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِالۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ الۡمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الۡمُفۡلِحُونَ ﴾
31	الآية 78-79، سورة المائدة.	:﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾
32	الآية 40-41، سورة الحج.	﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾
32	الآية 67، سورة التوبة.	:﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۘ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾
32	الآية 17، سورة لقمان.	:﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾
32	الآية 104، سورة آل عمران.	﴿وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾
32	الآية 112، سورة التوبة.	:﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾
34	الآية 122، سورة التوبة.	:﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾
34	الآية 104، سورة آل عمران.	:﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾.
37	الآية 105 سورة المائدة.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾
39	الآية 62-69، سورة يونس.	:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾
39	الآية 44، سورة البقرة.	﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾

39	الآية 54، سورة البقرة.	:﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾
40	الآية 159، سورة آل عمران.	:﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ ﴾
40	الآية 141، سورة النساء.	﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾
41	الآية 110، سورة آل عمران.	﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾
41	الآية 08، سورة المائدة.	:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ ﴾
42	الآية 33، سورة الأحزاب.	:﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰۖ ﴾
42	الآية71 سورة التوبة.	:﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾
47	الآية 60، سورة الأنفال.	:﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾
53	الآية 229، سورة البقرة.	:﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ ﴾
62	الآية 52، سورة الأنبياء.	:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ ﴾

الأحاديث

06	أبي حسن مسلم	((ولا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه))
14	سنن أبي داود،	((إن الموت فزع فإذا رأيتم جنازة فقوموا)).
16	صحيح الترمذي	((ألا من قتل نفسا معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أحضر (أي نقض) بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا)).
19	البخاري	((من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه))
21	البخاري	((إنّ أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)).

فهرس المحتويات

المقدمة أ

الفصل الأول: أهل الذمة في المجتمع الإسلامي قبل العصر العباسي

أولاً: التعريف بأهل الذمة 05

I. لغة 05

II. اصطلاحا 06

ثانياً: أصناف أهل الذمة 07

I. اليهود 07

II. النصارى 08

III. الصابئة 10

ثالثاً: نظرة الإسلام لأهل الذمة 11

رابعاً:مكانة أهل الذمة في العصر العباسي 15

خامساً:حقوق وواجبات أهل الذمة اتجاه الدولة الإسلامية 16

I. حقوق أهل الذمة 16

II. واجبات أهل الذمة 18

سادساً: أوضاع أهل الذمة في المجتمع الإسلامي قبل العصر العباسي. 21

I. في عهد الخلفاء الراشدين 21

II. في عهد بني أمية 22

الفصل الثاني:علاقة المحتسب بأهل الذمة في المجتمع الإسلامي.

أولاً: تعريف الحسبة. 27

I. الحسبة لغة. 27

II. اصطلاحا. 28

ثانياً:حكم الحسبة ودليل مشروعيتها في الإسلام . 29

I. حكمها. 29

II. مشروعيتها. 30

ثالثاً: نشأة الحسبة وتطورها. 34

I. خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. 36

II. خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. 36

III. خلافة عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. 37

رابعاً:آداب المحتسب وشروطه. 38

I. آداب المحتسب. 38

II. شروط المحتسب. 39

خامساً:مهام المحتسب وأشهر المحتسبين. 41

I. مهام المحتسب. 41

II. أشهر المحتسبين. 43

سادساً: دور المحتسب في مراقبة و رعاية أهل الذمة. 44

I. في اللباس و الدين. 44
II. في الجزية والخمر و الخنزير و ركوب الخيل و حمل السلاح. 45

الفصل الثالث : أوضاع أهل الذمة في المجتمع العباسي.

أولاً: الأوضاع الاجتماعية. 49
I. احتفالات أهل الذمة في المجتمع العباسي. 50
II. سكن أهل الذمة. 51
III. لباس أهل الذمة و زواجهم. 51
ثانياً: الأوضاع الاقتصادية. 53
I. التجارة . 53
II. الحرف والصنائع. 54
ثالثاً:الأوضاع السياسية. 55
I. وظائف أهل الذمة في شؤون ملتهم. 55
II. وظائف أهل الذمة في المجتمع العباسي. 56
رابعاً: الأوضاع الدينية. 58
I. الخلفاء العباسيين وأهل الذمة . 58
II. أهل الذمة و تأثرهم بالإسلام. 60
خامساً: الأوضاع الفكرية والثقافية. 61
- **الخاتمة** 65
- **قائمة المصادر والمراجع**
- **الملاحق**